

تحذير السلفي النبيل
من تلبيسات
أهل الإرجاف والتخيل

كُتِبَ
أَيُّمُ عَالَمٍ بَرَأَ ذَا الظُّلُمِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

المَقْلَمَاتُ

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

الردُّ على المبطلين والذبُّ عن الدين من أعظم الجهاد في سبيل الله

فإنَّ الردَّ على المخالف وكشف المبطلين من أعظم الأعمال التي يتقرب بها أهل العلم إلى ربهم جلَّ في علاه، وهذا الباب من العلم هو من أفضل أبواب الدين، بل هو من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه، ولهذا كان رسل الله صلوات ربي وسلامه عليهم سادة في هذا الباب وقادة في هذا الجهاد، وأهل العلم تبع لهم، ودرجاتهم ومراتبهم بحسب قيامهم بهذا الواجب الشرعي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في [المجموع ٤/ ١٣-١٤]: ((لَكِنَّ الْمَوَافَقَةَ الَّتِي فِيهَا قَهَرُ الْمُخَالَفِ وَإِظْهَارُ فَسَادِ قَوْلِهِ هِيَ مِنْ جِنْسِ الْمُجَاهِدِ الْمُتَّصِرِ، فَالرَّادُّ عَلَى أَهْلِ

الْبِدْعِ مُجَاهِدٌ؛ حَتَّى كَانَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى يَقُولُ: "الذَّبُّ عَنِ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ"،
وَالْمُجَاهِدُ قَدْ يَكُونُ عَدْلًا فِي سِيَاسَتِهِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ فُجُورٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ" وَ "بِأَقْوَامٍ لَا خَلَقَ لَهُمْ"،
وَلِهَذَا مَضَتْ السُّنَّةُ بِأَنْ يُغْزَى مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

وَالْجِهَادُ عَمَلٌ مَشْكُورٌ لِصَاحِبِهِ فِي الظَّاهِرِ لَا مُحَالَةً، وَهُوَ مَعَ النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ مَشْكُورٌ
بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَوَجْهُ شُكْرِهِ نَصْرُهُ لِلْسُّنَّةِ وَالدِّينِ، فَهَكَذَا الْمُتَنَصِّرُ لِلْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ يُشْكِرُ
عَلَى ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ)).

وقال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في [زاد المعاد ٣ / ٥]: ((وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى
بِالْجِهَادِ مِنْ حِينَ بَعَثَهُ وَقَالَ: "وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا"، فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ أَمَرَ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ
وَتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ إِنَّمَا هُوَ بِتَبْلِيغِ الْحُجَّةِ، وَإِلَّا فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ؛ قَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ".

فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ؛ وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِّ الْأُمَّةِ وَوَرَثَةِ
الرُّسُلِ، وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ، وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمْ
الْأَقْلَى عَدَدًا فَهُمْ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا. وَلَمَّا كَانَ مِنَ أَفْضَلِ الْجِهَادِ قَوْلُ الْحَقِّ مَعَ شِدَّةِ
الْمُعَارِضِ؛ مِثْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ عِنْدَ مَنْ تَخَافُ سَطْوَتَهُ وَأَذَاهُ كَانَ لِلرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
وَسَلَامُهُ مِنْ ذَلِكَ الْحُظِّ الْأَوْفَرِ، وَكَانَ لِنَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَكْمَلُ
الْجِهَادِ وَأَمَمُهُ)).

وقال رحمه الله في كتابه [الفروسية ص ١٥٧]: ((لَمَّا كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي الْفُرُوسِيَّتَيْنِ: فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ، وَالْبِلَادَ

بالسيف والسنان، وما الناس إلا هؤلاء الفريقان، ومن عداهما فإن لم يكن ردءاً وعوناً لهما فهو كل على نوع الإنسان.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بجدال الكفار والمنافقين، وجلاد أعدائه المشايق والمحاربين، فعلم الجدال والجلاد من أهم العلوم وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد، ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء، والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين، وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما)).

وقال رحمه الله في كتابه [التبيان في أقسام القرآن ص ١٣١]: ((القلم الثاني عشر: القلم الجامع؛ وهو قلم الرد على المبطلين، ورفع سنة المحقين، وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها، وبيان تناقضهم وتهافتهم وخروجهم عن الحق ودخولهم في الباطل، وهذا القلم في الأقلام نظير الملوك في الأنام، وأصحابه أهل الحجة الناصرون لما جاءت به الرسل، المحاربون لأعدائهم، وهم الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال، وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل، وعدو لكل مخالف للرسول، فهم في شأن وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن)).

وقال في رده على أهل التأويلات الباطلة كما في [الصواعق المرسله ١/ ٢٩٨- ٣٠٣]: ((فلا إله إلا الله، والله أكبر؛ كم هُدمت بهذه المعاول من معاقل الإيمان، وثُلِّمت بها حصون حقائق السنة والقرآن؟ وكم أطلقت في نصوص الوحي من لسان كل جاهل أخرق ومنافق أرعن، وطرقت لأعداء الدين الطريق وفتحت الباب لكل مبتدع وزنديق؟.

ومنَ نظر في التأويلات المخالفة لحقائق النصوص رأى من ذلك ما يضحك عجباً ويبيكي حزناً ويشير حمية للنصوص وغضباً؛ قد أعادت عذب النصوص ملحاً

أجاجاً، وخرّجت الناس من الهدى والعلم أفواجاً، فتحيّزت كلّ طائفة إلى طاغوتها، وتصادمت تصادم النصارى في شأن ناسوتها ولاهوتها.

ثم تمالأ الكلُّ على غزو جند الرحمن ومعاداة حزب السنة والقرآن، فتداعوا إلى حربهم تداعي الأكلة إلى قصعتها، وقالوا: نحن وإن كنا مختلفين فإننا على محاربة هذا الجند متفقون، فميلوا بنا عليهم ميلاً واحدةً حتى تعود دعوتهم باطلةً وكلمتهم خامدةً، وغرّ المخدوعين كثرتهم التي ما زادتهم عند الله ورسوله وحزبه إلا قلة، وقواعدهم التي ما زادتهم إلا ضلالاً وبعداً عن الملة، وظنوا أنهم بجموعهم المعلولة يملأون قلوب أهل السنة إرهاباً منهم وتعظيماً، "ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً".

وأنت إذا تأملت تأويلات القرامطة والملاحدة والفلاسفة والرافضة والقدرية والجهمية ومن سلك سبيل هؤلاء من المقلّدين لهم في الحكم والدليل ترى الإخبار بمضمونها عن الله ورسوله لا يقصر عن الإخبار عنه بالأحاديث الموضوعة المصنوعة التي هي مما عملته أيدي الوضّاعين وصاغته ألسنة الكذابين، فهؤلاء اختلقوا عليه ألفاظاً وضعوها، وهؤلاء اختلقوا في كلامه معاني ابتدعوها، فيا محنة الكتاب والسنة بين الفريقين، وما نزلت نازلة بالإسلام إلا من الطائفتين، فهما عدوان للإسلام كائنان، وعن الصراط المستقيم ناكبان، وعن قصد السبيل جائران.

فلو رأيت ما يصرف إليه المحرفون أحسن الكلام وأبينه وأفصحه وأحقه بكل هدى وبيان وعلم من المعاني الباطلة والتأويلات الفاسدة لكدت تقضى من ذلك عجباً وتتخذ في بطن الأرض سرباً، فتارة تعجب، وتارة تغضب، وتارة تبكي، وتارة تضحك، وتارة تتوجع؛ لما نزل بالإسلام وحلّ بساحة الوحي ممن هم أضل من الأنعام.

فكشفت عورات هؤلاء وبيان فضائحتهم وفساد قواعدهم من أفضل الجهاد في سبيل الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: "إنَّ روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله"، وقال: "أهجهم أو هاجهم وجبريل معك"، وقال: "اللهم أيده بروح القدس ما دام ينافح عن رسولك"، وقال عن هجائه لهم: "والذي نفسي بيده لهو أشد فيهم من النبل".

وكيف لا يكون بيان ذلك من الجهاد في سبيل الله؟! وأكثر هذه التأويلات المخالفة للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام الذين لهم في الأمة لسان صدق يتضمن من عبث المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه وأهل النفاق والإلحاد، لما فيه من دعوى أنَّ ظاهر كلامه إفك ومحال وكفر وضلال وتشبيه وتمثيل أو تخيل، ثم صرفها إلى معان يعلم أنَّ إرادتها بتلك الألفاظ من نوع الأحاجي والألغاز، لا يصدر ممن قصده نصح وبيان.

فالمدافعة عن كلام الله ورسوله والذبُّ عنه من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأنفعها للعبد، ومن رزقه الله بصيرة نافذة عَلِمَ سخافة عقول هؤلاء المحرفين، وأنهم من أهل الضلال المبين، وأنهم إخوان الذين ذمهم الله بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، الذين لا يفقهون ولا يتدبرون القول، وشبههم بالحرر المستنفرة تارة، وبالحمار الذي يحمل أسفاراً تارة، ومن قبل التأويلات المفتراة على الله ورسوله التي هي تحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه)).

وبعض الناس لا يقوى على هذا الجهاد والقيام بهذا الواجب لأسباب عدة، منها ضعف شجاعة القلب، فهو لا يقدر على مقاومة الباطل وأهله ولا يحتمل أذاهم

وعدوانهم وطعوناتهم وبخاصة إذا حمي الوطيس واشتد البلاء وعظمت الفتنة، ولهذا يتخلف مع الخوالم ويقعد مع القاعدين ويتعذر بشتى المعاذير.

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في [مفتاح دار السعادة ٥٧/٢]: ((فهذه مجامع جيوش النفاة قد وافتك بـعددها وعديدها، وأقبلت إليك بحدها وحديدها، فإن كنت من أبناء الطعن والضرب: فقد التقى الزحفان وتقابل الصفان، وإن كنت من أصحاب التلول فالزم مقامك ولا تدن من الوطيس؛ فإنه قد حمى، وإن كنت من أهل الأسراب الذين يسألون عن الأنباء ولا يشبتون عند اللقاء:

فدع الحروب لأقوام لها خلقوا... وما لها من سوى أجسامهم جنن ولا تلمهم على ما فيك من جبن... فبئست الحلتان اللؤم والجبن)).

والبعض يقف موقف المتردد بين الصفين كالشاة العائرة بين الفريقين، لا يصدع بالحق فيكون مع أهله، ولا يُظهر ما فيه قلبه من موافقة للباطل حتى يلحق بأهله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [الصواعق المرسله ١١٤٧/٣]: ((فاقتتل الفريقان وطال بينهم الخصام والجدال وانتشر القيل والقال، وشهد آخرون الوقعة: فوقفوا بين هؤلاء وهؤلاء، وخذلوا الفريقين، ولم يتحيزوا إلى واحدة من الطائفتين)).

أصناف الناس في الموقف من الحق والباطل

والناس في نصرة الحق ورد الباطل أصنافٌ عدة بحسب مقاصدهم وتوجهاتهم وسلوكياتهم ونفسياتهم:

- فمنهم العارف الراسخ والمجاهد الشجاع، الناطق بالحق بلا خوف ولا وجل ولا غش ولا خداع، فهو لاء هم ورثة الأنبياء من الخلق، والطائفة المنصورة الظاهرين على الحق.

- ومنهم الضعيف في الإرادة والعلم أو الخائف الجبان الذي إذا دُعِيَ إلى جهاد المبطلين وكشف المنحرفين تعذَّرَ بشتى المعاذير الواهية، وحقيقة حاله أنه يضعف عند المواجهة، ولم يُعوِّد نفسه على الصدع بالحق، لأنه يخشى أذى المبطلين ويراعي لومة اللائمين.

- ومنهم مَنْ يلهث وراء دنيا فانية وتجارة طاغية فيُعرض عن معرفة هذه الأمور ولا يتتبع الردود ولا يشارك فيها، وليس لهم همٌّ يشغله إلا الدينار والدرهم وبناء الدور وتحصيل الأملاك وإسعاد نفسه وأهله في هذه الدنيا.

- ومنهم مَنْ يتولَّى عن هذا الجهاد وهو قادر عليه مع حاجة الناس إليه بدعوى الإنشغال بغيره من علوم شرعية وتعليم ودعوة ودروس ودورات أو عبادة وسلوك وعلاقات.

وهذه الأصناف الثلاثة هم الخاذلون.

- ومنهم الذي يهول من الباطل وظهوره وكثرته ويُعظِّم من شوكة المخالفين وسطوتهم في نفوس أهل الحق، ويُصوِّر أهل الحق بأنهم ضعفاء أذلاء مقهورون لا قدرة

لهم على مواجهة الباطل وأهله، فلا بد من المداهنة والسكوت عنهم والرضى بالأمر الواقع، وهؤلاء هم المرجفون.

- ومنهم الذين يحاولون تكميم أفواه أهل الحق المجاهدين وتكسير أقلامهم وخمد أصواتهم؛ وهؤلاء هم المخدّلون.

- ومنهم مَنْ يتكلّم في المسائل العلمية بلا تأصيل صحيح ولا ضبط منهجي ولا يميز بين المشروع والممنوع ولا يفرّق بين القواعد الباطلة والأصول السلفية، فهؤلاء هم المخلّطون المتخبّطون.

- ومنهم الذين يُبدون للسلفيين ما لا يخفون ويقولون ما لا يعملون، ولهم وجهان ولسانان، إذا لقوا أهل الحق قالوا: نحن معكم، وإذا خلوا مع أهل الباطل قالوا: نحن معكم إنما نحن بأولئك مستهزؤون، فهؤلاء هم المنافقون ومَنْ سلك طريقهم من المداهين واللّعابين والمتذبذبين.

- ومنهم مَنْ يتأثر بكلام هؤلاء وأرعى سمعه لكلّ مبطل أو مخدّل؛ فلا يستقيم حاله ولا تثبت مواقفه؛ وهؤلاء هم السّماعون.

- ومنهم مَنْ يصدع بالباطل من قواعد وأصول ومناهج، ويعلن الحرب على أهل الحق ودعوتهم، وقد باع دينه ودعوته من أجل أموال حزبية ومطامع دنيوية وأغراض شخصية ومصالحية، ويتولى المنحرفين ويجالسهم، ويدافع عنهم ويجادل، ويعتذر لهم وينتصر، فهؤلاء هم أعداء السنة المخالفين الظاهرين.

فهذه هي أصناف الناس عند المحن وموقفهم من الصراع الدائر بين الحق والباطل، فلينظر أحدنا من أي الأصناف هو؟! والله يهدي مَنْ يشاء إلى سواء السبيل.

المبحث الأول المخذلون أشدُّ ضرراً من المخالفين الظاهريين

ولا بد أن نعلم أنَّ خطر المخذِّلين والسَّمَّاعين والمتخبِّطين والمنافقين أشدُّ على أهل السنة والحق من خطر المخالفين الظاهريين؛ لأنَّ هؤلاء المخالفين قد ظهر أمرهم للعامة والخاصة، ولل كبير والصغير، وللمبتدئ والمتقدم، فلا يُخشى من فتنهم بقدر ما يخشى على الناس من فتنة المخذِّلين وإخوانهم؛ الذين يظهرون الانتساب إلى السنة والعلم ومنهج السلف الصالح والعلماء الكبار، ثم يؤصِّلون القواعد الباطلة ويذكرون الشبهات والاستدلالات الفاسدة، ويلبسون الحق بالباطل، ويخلطون أهل الباطل في دائرة أهل الحق، ويخبطون في المسائل العلمية ولا يضبطون.

وإليكم هذه الأدلة والنقول التي تبين عظم فتنة هؤلاء وشدة ضررهم على أهل الحق النجباء:

قعود المخذلين خير من قيامهم في نصره الدين

١ - قال تعالى: ((إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ. وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ. لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ. وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ: ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)).

فهذه الآيات تدل على أنَّ فتنة المنافقين والمخذلين والسَّامعين شديدة على صف المؤمنين الأقوياء الصادقين، لأنَّ وجودهم في هذا الصف يخلل البنيان ويُضعف تماسكه وقت الشدائد والمحن، ولهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ ورحمته ورأفته بعباده المؤمنين الصادقين أن تَبْطُ هذا الصنف من الناس عن القيام إلى نداء الجهاد، لأنَّهم لا يبتغون إلا إثارة الفتنة بين أهل الحق، وإحداث الفرقة والفساد في صفهم، وتقليب الأمور على غير واقعها وحقيقتها؛ لمرض في نفوسهم وريبة في قلوبهم، وفي صف أهل الإيمان مَنْ يَغْتَرُّ بهم ويستمعُ لهم مع الأسف الشديد، فلو خرجوا معهم إلى الجهاد لوقعت مفسدة عظيمة وفتنة جسيمة.

وكذلك الحال في جهاد العلم والبيان، فقد ثَبَّط الله عزَّ وجلَّ أقواماً عن القيام بهذا الواجب الشرعي، وصرفهم عن الرد على المبطلين وكشف مناهجهم، لأنهم لو كتبوا في هذا المجال لأفسدوا وتخبَّطوا، وفي أهل السنة مَنْ يستمع لهم ويتأثر بهم، فتقع الفتنة بينهم.

وهذه الحقيقة ظاهرة اليوم في صنف من الناس لم يقم لله عزَّ وجلَّ في الردِّ على أهل البدع ولم ينتصر لدينه في كشف المبطلين والتحذير من الزائغين؛ والسبب في ذلك أنَّ هؤلاء ما أعدُّوا العدة في جهاد أهل البدع من تقرير المسائل العلمية وضبط الأصول المنهجية قبل ذلك، فكره الله عزَّ وجلَّ قيامهم بهذا الواجب الشرعي فثَبَّطهم، ولهذا لم يكن لهم ردُّ علمي ولا تأصيل منهجي في نصره الحق وأهله وقمع الباطل وأهله، ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف الذين تخلفوا عن هذا الواجب وتأخروا عن نصره الدين أو تولَّوا يوم الزحف عند التقاء الفريقين، وقعدوا مع القاعدين.

والحمد لله الذي ثَبَّطهم عن القيام بهذا الواجب والخروج في صدِّ عدوان المبتدعة الضلال، لأنَّ دخول أمثال هؤلاء في صفِّ أهل الحق فيه مفسدة عظيمة وبلاء كبير،

لأنهم لا يزيدون أهل الحق إلا نقصاً وشرّاً وفتنة وفرقة وفساداً، وأقصى ما عندهم هو موافقة أهل الحق في ظاهر أقوالهم وأحكامهم ومواقفهم، لكنهم في الحقيقة لا يعرفون الحق من الباطل لا تأصيلاً ولا تقريراً ولا استدلالاً، ولا يضبطون المسائل العلمية المنهجية إذا تكلموا فيها، والأشد من ذلك أن في صف أهل الحق مَنْ يغترّ بحالهم وكلامهم وظاهر مواقفهم ويحسن الظن بهم، فلو خرج هؤلاء مع أهل الحق وتكلموا لانخدع بهم البعض ممن أرخى سمعه لهم واشتبه عليه أمرهم وزين له باطلهم، فيظنون كلامهم علماً وتخليطهم رداً، وهؤلاء هم المخدولون والمخذّلون في الوقت نفسه.

وكم حزن أهل السنة لما يرون بعض مَنْ ينتسب إلى السنة والعلم لا يرد على مبتدعة ولا يكشف باطلهم، لكنهم لو تمعنوا في هذه الآيات لعلموا أن قعود هؤلاء وسكوتهم خير من قيامهم وكلامهم، وقد رأى السلفيون أمثال هؤلاء بما لا يحتاج الأمر فيه إلى برهان، فالحمد لله رب العالمين.

وفتنة المخدّلين أشدّ في أهل الإيمان من عداوة المخالفين الظاهرين؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كما في [المجموع ٢٨ / ٢٣٢ - ٢٣٤]: ((وأعداء الدين نوعان: الكفار والمنافقون؛ وقد أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين في قوله: "جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم" في آيتين من القرآن.

فإذا كان أقوام منافقون يتدعون بدعاً تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تبين للناس فسد أمر الكتاب وبُذِل الدين، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله.

وإذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سمّاعون للمنافقين قد إلّبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقاً وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين كما قال تعالى: "لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولا وضعوا خلالكم يبعثونكم الفتنة وفيكم

سماعون لهم"، فلا بد أيضاً من بيان حال هؤلاء؛ بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإنّ فيهم إيماناً يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين فلا بد من التحذير من تلك البدع؛ وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم.

بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق، لكن قالوها ظآنين أنها هدى وأنها خير وأنها دين ولم يكن كذلك: لوجب بيان حالهم؛ ولهذا وجب بيان حال مَنْ يغلط في الحديث والرواية ومَنْ يغلط في الرأي والفتيا ومَنْ يغلط في الزهد والعبادة، وإن كان المخطئ المجتهد مغفوراً له خطؤه، وهو مأجور على اجتهاده، فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب والسنة واجب وإن كان في ذلك مخالفة لقوله وعمله.

ومَنْ علّم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له، فإنّ الله غفر له خطاه بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوى موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك.

وإن علّم منه النفاق كما عرف نفاق جماعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن أبي وذويه، وكما علم المسلمون نفاق الرافضة عبد الله بن سبأ وأمثاله مثل عبد القدوس بن الحجاج ومحمد بن سعيد المصلوب: فهذا يُذكر بالنفاق. وإن أعلن بالبدعة ولم يُعلم هل كان منافقاً أو مؤمناً مخطئاً؟ ذكر بما يعلم منه.

فلا يحل للرجل أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يحل له أن يتكلّم في هذا الباب إلا قاصداً بذلك وجه الله تعالى وأن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله؛ فمن تكلم في ذلك بغير علم أو بما يعلم خلافه كان آثماً).

وقال في [المجموع ١٦٢/٢٧]: ((وَمِنْ هُنَا أَدْخَلَ أَهْلُ النَّفَاقِ فِي الْإِسْلَامِ مَا أَدْخَلُوهُ، فَإِنَّ الَّذِي ابْتَدَعَ دِينَ الرَّافِضَةِ كَانَ زَنْدِيقًا يَهُودِيًّا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَأَبْطَنَ الْكُفْرَ لِيَحْتَالَ فِي إِفْسَادِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ - كَمَا احْتَالَ بُولُصُ فِي إِفْسَادِ دِينِ النَّصَارَى - سَعَى فِي

الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قُتِلَ عُثْمَانُ، وَفِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَسْتَجِيبُ لِلْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ"، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا تَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ ابْتَدَعَ مَا ادَّعَاهُ فِي الْإِمَامَةِ مِنَ النَّصِّ وَالْعِصْمَةِ وَأَظْهَرَ التَّكَلُّمَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَصَادَفَ ذَلِكَ قُلُوبًا فِيهَا جَهْلٌ وَظُلْمٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَافِرَةً؛ فَظَهَرَتْ بِدْعَةُ التَّشْيِيعِ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ بَابِ الشَّرِّ)).

وقال رحمه الله [تعارض العقل والنقل ١/ ٢٨٣]: ((وسبب ذلك: ما أوقعه أهل الإلحاد والضلال من الألفاظ المجملة التي يظنُّ الظانُّ أنه لا يدخل فيها إلا الحق وقد دخل فيها الحق والباطل، فمن لم ينقب عنها أو يستفصل المتكلم بها - كما كان السلف والأئمة يفعلون - صار متناقضاً، أو مبتدعاً ضالاً من حيث لا يشعر. وكثيرٌ ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدعة كلفظ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة، وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله، فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك، وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم.

فإنَّ البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقاً للسنة إذا لو كانت كذلك لم تكن باطلاً، ولا تكون باطلاً محضاً لا حق فيها إذ لو كانت كذلك لم تخف على الناس، ولكن تشتمل على حق وباطل، فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل؛ إما مخطئاً غالطاً، وإما متعمداً لنفاق فيه وإلحاد، كما قال تعالى: "لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأضعوا خلالكم ييغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم".

فأخبر أنَّ المنافقين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم إلا خبالاً، ولكانوا يسعون بينهم مسرعين يطلبون لهم الفتنة، وفي المؤمنين مَنْ يقبل منهم ويستجيب لهم إما

لظنّ مخطيء أو لنوع من الهوى أو لمجموعهما، فإنّ المؤمن إنْما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظنّ وإتباع هواه)).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله كما في [الصواعق المرسلّة ١/ ٣٠٥-٣٠٩]:
((ومن تدبّر هذا الموضع انتفع به غاية النفع وتخلّص به من أشراك الضلال؛ فإنّ الذين يقرّون برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم نوعٌ إيمانٍ به: منهم من يجعل له شريكاً في الطاعة كما كان المنافقون يطيعون عبد الله بن أبي رَأْس المنافقين وكبيرهم، وكان كثيرٌ ممن في قلبه نوعٌ مرضٍ وإن لم يكن منافقاً خالصاً يطيعه في كثير من الأمور ويقبل منه كما قال تعالى: "وفيكم سمّاعون لهم!"، والمعنى على أصح القولين: وفيكم مستجيبون لهم قابلون منهم، كما قال الله تعالى: "سمّاعون للكذب"، أي قابلون له، ومن حمل الآية على العيون والجواسيس فقله ضعيف لوجوه كثيرة ليس هذا موضعها.

وكما كان أصحابُ مسيلمة يقولون: إنه شريكه في الطاعة، وإنه يُقبل منه كما يُقبل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عبد الله بن أبي يقدّم سياسته ورأيه على ما جاء به أحياناً ويغضب إذا لم يُسمع منه ويغضب له قومه، وكذلك رئيس الخوارج السجّاد العبّاد الذي بين عينيه أثر السجود قدّم عقله ورأيه على ما جاء به في قسمة المال وزعم أنه لم يعدل فيها، وكذلك غلاة الرافضة قدّموا عقولهم وآرائهم على ما جاء به وزعموا أنه لم يعدل حيث أمر أبا بكر أن يصلي بالناس وابن عمه حاضر، ولم يعدل حيث أثنى على أبي بكر وعمر وعظمهما فأوجب أن الأمة بعده ولّوهما دون ابن عمه، وكذلك الجهمية قدّموا عقولهم وآراءهم على ما جاء به وزعموا أنه لم يعدل في العبارة حيث عدل عن العبارة التي عبروا هم بها عن الله سبحانه وعبر بها أوقع الأمة في اعتقاد التشبيه والتجسيم، وحملهم كلفة التأويل وجشّمهم مشقته، وأوقع الخلاف بين الأمة بتلك العبارات التي عباراتهم بزعمهم أعظم تنزيهاً لله وأقل إيهاماً للمحال منها.

فهؤلاء وأمثالهم؛ هم السلفُ لكلِّ خلفٍ يدَّعي أنَّ لغير الله ورسوله معه حكماً في مضمون الرسالة: إما في العلميات، وإما في العمليات، وإما في الإرادات والأحوال، وإما في السياسات وأحكام الأموال؛ فيُطاع هذا الغير كما يُطاع الرسول، بل الله يعلم أنَّ كثيراً منهم أو أكثرهم قد قدَّموا طاعته على طاعة الرسول، وكل هؤلاء فيهم شبهٌ من أتباع مسيلمة وابن أبي وذي الخويرة، فلكلِّ خلفٍ سلفٌ، ولكلِّ تابعٍ متبوعٌ، ولكلِّ مرؤوسٍ رئيسٍ.

فمن قرَنَ بالرسالة رئاسةً مطاعةً أو سياسةً حاكمةً بحيث يجعل طاعتها كطاعة الرسالة: ففيهم شبهٌ من أتباع عبدالله بن أبي، ومن اعترض على الكتاب والسنة بنوع تأويل من قياس أو ذوق أو عقل أو حال ففيه شبهٌ من الخوارج أتباع ذي الخويرة، ومن نصَّب طاغوتاً دون الله ورسوله يدعو ويحكم إليه ففيه شبهٌ من أتباع مسيلمة، وقد يكون في هؤلاء مَنْ هو شرٌّ من أولئك، كما كان فيهم مَنْ هو خيرٌ منهم أو مثلهم.

وهؤلاء كلهم قد أعقبهم هذا الصنيعُ نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقون ربهم، وإنما تبين لهم حقيقته إذا بُليت السرائر ومدت الضمائر، وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، ولا يستقر للعبد قدمٌ في الإسلام حتى يعقد قلبه وسره على أنَّ الدين كله لله، لا رب سواه ولا متبوع غيره، وأنَّ كلام غيره يعرض على كلامه فإن وافقه قبلناه لا لأنه قاله بل لأنه أخبر به عن الله ورسوله، وإن خالفه ردناه وأطرحناه، ولا يعرض كلامه على آراء القياسيين ولا عقول الفلاسفة والمتكلمين ولا على سياسة الولاة الحاكمين والسلطين ولا أذواق المتزهدين والمتعبدین، بل تعرض هذه كلها على ما جاء به عرض الدراهم المجهول حاملها على أخبر الناقلين؛ فما حكم بصحته منها فهو المقبول، وما حكم برده فهو المردود، والله الموفق للصواب)).

العدو الداخل المتستر أشد على أهل الحق من العدو الخارج الظاهر

٢- قال تعالى: ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا)).

فهذه الآية تبين أن العدو الداخل في صف أهل الإيمان أشد فتنة وخطراً من العدو الخارج عنهم، لأن بعض الناس يغترون بكلام المنافقين ويستمعون إليهم، فكان شرهم أعظم من شر الكفار الظاهرين، وعاقبتهم في الآخرة أشد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ((ثم قال: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا" فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين، فكأن الفساد من جهة المنافق حاصل؛ لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له، ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على حالته الأولى لكان شره أخف، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح)).

وقال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره: ((يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب، فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس، ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا من آمن بالله عليهم بالتوبة من السيئات)).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [دار الهجرتين ص ٥٩٦-٥٩٧]: ((الطبقة الخامسة عشرة: طبقة الزنادقة؛ وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: "إِنَّ

المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيراً"، فالكفار والمجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار، لأنَّ الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، ولهذا قال تعالى في حقهم: "هم العدو فاحذرهم"، ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر أي لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد هاهنا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها، فإنَّ ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة، وألزم وأدوم، لأنَّ الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباح ومساءً، يدلون العدو على عوراتهم، ويتربصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل: "هم العدو فاحذرهم"، لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدواً من الكفار المجاهرين)).

أقول:

ومن هذا نعرف أنَّ العدو الداخل المستتر أشد علينا من العدو الخارج الظاهر، وأنَّ الاهتمام بحفظ الداخل وتنقيته أعظم من الانشغال بالعدو الخارج وتصفيته، لأنَّ حفظ الأصل ورأس المال مقدَّم على حفظ الفرع وتحصيل الربح، وقد كان أهل العلم يعدون أهل الأهواء والبدع أكثر خطراً وأعظم ضرراً في أهل الإسلام من اليهود والنصارى والكفار، ويعدون المرتد والزنديق والمنافق شراً من الكافر الأصلي، لأنَّ فتنة أهل الإسلام بهؤلاء أخف من فتنهم بأولئك.

قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في كتابه [الموضوعات ١ / ٥١]: ((قال أبو الوفاء علي بن عقيل الفقيه: قال شيخنا أبو الفضل الهمداني: مبتدعة الإسلام والوضّاعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأنّ الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل؛ فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالمحاصرين من الخارج، فالدخلاء يفتحون الحصن؛ فهم شر على الإسلام من غير الملايسين له)).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله [المجموع ٢٨ / ٢٣١-٢٣٢]: ((وَإِذَا كَانَ النُّصْحُ وَاجِبًا فِي الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ؛ مِثْلَ نَقْلَةِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَغْلُطُونَ أَوْ يَكْذِبُونَ كَمَا قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: سَأَلْتُ مَالِكًا وَالثَّوْرِيَّ وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ - أَظُنُّهُ - وَالْأَوْزَاعِيَّ عَنْ الرَّجُلِ يُتَّهَمُ فِي الْحَدِيثِ أَوْ لَا يَحْفَظُ؟ فَقَالُوا: بَيِّنْ أَمْرَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: أَنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ فُلَانٌ كَذَّاءٌ وَفُلَانٌ كَذَّاءٌ؟! فَقَالَ: إِذَا سَكَتَ أَنْتَ وَسَكَتُ أَنَا فَمَتَى يُعْرَفُ الْجَاهِلُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ؟!)).

وَمِثْلُ أَئِمَّةِ الْبِدْعِ مِنْ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ الْعِبَادَاتِ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ بَيَانَ حَالِهِمْ وَتَحْذِيرَ الْأُمَّةِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ حَتَّى قِيلَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَعْتَكِفُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ يَتَكَلَّمُ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ؟ فَقَالَ: إِذَا قَامَ وَصَلَّى وَاعْتَكَفَ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُسْلِمِينَ هَذَا أَفْضَلُ، فَيَبَيِّنُ أَنَّ نَفْعَ هَذَا عَامٌّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جِنْسِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

إِذْ تَطْهِيرُ سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينِهِ وَمِنْهَاجِهِ وَشَرْعَتِهِ وَدَفْعُ بَغْيِ هَؤُلَاءِ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ لَا مَنْ يُقِيمُهُ اللَّهُ لِدَفْعِ ضَرَرِ هَؤُلَاءِ لَفَسَدَ الدِّينُ، وَكَانَ فَسَادُهُ أَعْظَمَ مِنْ فَسَادِ اسْتِيلَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا اسْتَوْلَوْا لَمْ يُفْسِدُوا الْقُلُوبَ وَمَا فِيهَا مِنَ الدِّينِ إِلَّا تَبَعًا، وَأَمَّا أَوْلَئِكَ فَهُمْ يُفْسِدُونَ الْقُلُوبَ ابْتِدَاءً)).

وقال رحمه الله في الفلاسفة [المجموع ٢/ ٢٤٦]: ((وَحَدَّثَنَا أَيُّضًا قَالَ: قَالَ لِي قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: إِنَّمَا اسْتَوَلَتِ التَّائِرُ عَلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ لِظُهُورِ الْفَلَسَفَةِ فِيهِمْ وَضَعْفِ الشَّرِيعَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: فَنِي بِلَادِكُمْ مَذْهَبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالِاتِّحَادِ وَهُوَ شَرٌّ مِنْ مَذْهَبِ الْفَلَسَفَةِ؟! فَقَالَ: قَوْلُ هَؤُلَاءِ لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ، بَلْ كُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ فَسَادَ قَوْلِ هَؤُلَاءِ؛ - يَعْنِي أَنَّ فَسَادَهُ ظَاهِرٌ -، فَلَا يُذَكَّرُ هَذَا فِيمَا يَشْتَبَهُ عَلَى الْعُقَلَاءِ، بِخِلَافِ مَقَالَةِ الْفَلَسَفَةِ فَإِنَّ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْقُولِ وَإِنْ كَانَتْ فَاسِدَةً)).

وقال رحمه الله في مرجئة الفقهاء بعد أن ذكر جملة من أهل البدع المغلظة [المجموع ٣/ ٣٥٧]: ((وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَلْيَسُوا مِنْ هَذِهِ الْبِدَعِ الْمَغْلَظَةِ؛ بَلْ قَدْ دَخَلَ فِي قَوْلِهِمْ طَوَائِفُ مَنْ أَهَلَ الْفِقْهَ وَالْعِبَادَةَ؛ وَمَا كَانُوا يُعَدُّونَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، حَتَّى تَغْلَظَ أَمْرُهُمْ بِمَا زَادُوهُ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمَغْلَظَةِ، وَلَمَّا كَانَ قَدْ نُسِبَ إِلَى الْإِرْجَاءِ وَالتَّفْضِيلِ قَوْمٌ مَشَاهِيرُ مُتَّبِعُونَ: تَكَلَّمَ أَيْمَةُ السُّنَّةِ الْمَشَاهِيرُ فِي ذِمِّ الْمُرْجِئَةِ الْمُفْضَلَةِ تَنْفِيرًا عَنْ مَقَالَتِهِمْ، كَقَوْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: مَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَالشَّيْخَيْنِ فَقَدْ أَرَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ وَمَا أَرَى يَصْعَدُ لَهُ إِلَى اللَّهِ عَمَلٌ مَعَ ذَلِكَ، أَوْ نَحْوِ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ لَمَّا نُسِبَ إِلَى تَقْدِيمِ عَلَى بَعْضِ أَيْمَةِ الْكُوفِيِّينَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي: مَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ فَقَدْ أَرَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَالَ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ أَيْمَةِ الْكُوفِيِّينَ، وَقَدْ رَوِيَ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمْ فِي ذِمِّ الْمُرْجِئَةِ لَمَّا نُسِبَ إِلَى الْإِرْجَاءِ بَعْضُ الْمَشْهُورِينَ، وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي هَذَا الْبَابِ جَارٍ عَلَى كَلَامِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَيْمَةِ الْهُدَى، لَيْسَ لَهُ قَوْلٌ ابْتَدَعَهُ وَلَكِنْ أَظْهَرَ السُّنَّةَ وَبَيَّنَّهَا، وَذَبَّ عَنْهَا وَبَيَّنَّ حَالَ مُحَالَفَتِهَا وَجَاهِدَ عَلَيْهَا، وَصَبَرَ عَلَى الْأَذَى فِيهَا لَمَّا أُظْهِرَتْ الْأَهْوَاءُ وَالْبِدْعُ))،

أقول:

مرجئة الفقهاء ليسوا من أهل البدع المغلظة لكنهم من الفرق المبتدعة وليسوا من أهل السنة، وقد دخل فيهم بعض الأئمة الذين يُعدون من أهل السنة ويُذكرون عند الأمة بخير، ومع كونهم من أقرب الفرق إلى أهل السنة، فقد اشتد نكير السلف عليهم وغلظ الأئمة فيهم القول.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في [المجموع ٧ / ٢٢٢]: ((فَإِنَّ الْمُرْجِيَّةَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعَبَادِ الْمَذْكُورِينَ عِنْدَ الْأُمَّةِ بِخَيْرٍ)).

وقال في [المجموع ١٠ / ٧٤٨]: ((والقاضي بناها على أصله في الإيمان الذي اتبع فيه جهماً والصالحين وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعري وهو: أَنَّ الإيمان مجرد تصديق القلب ولو كذب بلسانه وسبَّ الله ورسوله بلسانه وإن سبَّ الله ورسوله إنما هو كفر في الظاهر، وأنَّ كل ما كان كفراً في نفس الأمر فإنه يمتنع أن يكون معه شيء من تصديق القلب؛ وهذا أصل فاسد في الشرع والعقل، حتى إنَّ الأئمة كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم كفَّروا مَنْ قال في الإيمان بهذا القول؛ بخلاف المرجئة من الفقهاء الذين يقولون: هو تصديق القلب واللسان؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَكْفُرْهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَإِنَّمَا بَدَّعُوهُمْ)).

وقال في [المجموع ٧ / ٥٠٧]: ((وأنكر حماد بن أبي سليمان وَمَنْ اتبعه تفاضل الإيمان ودخول الأعمال فيه والاستثناء فيه؛ وهؤلاء من مرجئة الفقهاء. وأما إبراهيم النخعي - إمام أهل الكوفة شيخ حماد بن أبي سليمان - وأمثاله، ومن قبله من أصحاب ابن مسعود كعلقمة والأسود؛ فكانوا من أشدَّ الناس مخالفة للمرجئة، وكانوا يستثنون في الإيمان. لكنَّ حماد بن أبي سليمان خالف سلفه، واتبعه مَنْ اتبعه، ودخل في هذا طوائف من أهل الكوفة ومن بعدهم. ثم إنَّ السلف والأئمة اشتدَّ إنكارهم على هؤلاء،

وتبديعهم، وتغليظ القول فيهم، ولم أعلم أحداً منهم نطق بتكفيرهم؛ بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك، وقد نص أحمد وغيره من الأئمة على عدم تكفير هؤلاء المرجئة، ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأئمة تكفيراً هؤلاء أو جعل هؤلاء من أهل البدع المتنازع في تكفيرهم فقد غلط غلطاً عظيماً)).

قلتُ:

وقد قال الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله فيهم: ((لفتتهم عندي أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة))، وقال الإمام الزهري رحمه الله فيهم: ((ما ابتدعت في الإسلام بدعةً هي أضر على أهله من هذه))، وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: ((كان يحيى وقتادة يقولان: ليس من أهل الأهواء شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء)).

فهذا كله يدلُّ على شدة الفتنة على هذه الأمة من أهل البدع وإن لم يكونوا من البدع المغلطة، لأنَّ دخول مَنْ دخل في بدعتهم من العلماء والعباد المذكورين عند الأمة بخير يزيد في تزوين الباطل وتغريب العامة.

ومثلهم أصحاب بدعتي التفويض واللفظية، فالتصريح بتعطيل الصفات أو تحريفها أغلظ من بدعة تفويض معاني الأسماء والصفات بدعوى أنها غير معلومة وقد يراد بها ظاهرها بمعنى يليق بالله جلَّ في علاه وقد لا يراد بها ذلك، لكنَّ التفويض أشدُّ، وكذلك القول بخلق القرآن أغلظ من قول لفظي بالقرآن مخلوق؛ لكنَّ اللفظية أشدُّ، لأنَّ البدعة كلما كانت أخف كلما كانت أشد فتنة وأعظم خطراً على الناس، فتكون أشدَّ من هذه الجهة، وكلما كانت ظاهرة وغليلة كلما فرَّ الناس منها وعرفوا قبحها، وقد ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة الإمام أحمد رحمه الله [سير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٨]: ((قَالَ أَحْمَدُ بْنُ زَنْجَوِيَّةَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ: اللَّفْظِيَّةُ شَرٌّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ))، وقال في موضع آخر: ((الْحَكَمُ بْنُ مَعْبُدٍ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ الدَّورَقِيُّ قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: مَا تَقُولُ فِي هَؤُلَاءِ

الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ؟ فَرَأَيْتَهُ اسْتَوَى وَاجْتَمَعَ، وَقَالَ: هَذَا شَرٌّ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ، مَنْ زَعَمَ هَذَا فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ جِبْرِيلَ تَكَلَّمَ بِمَخْلُوقٍ، وَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَخْلُوقٍ))، وقال شيخ الإسلام رحمه الله في [درء تعارض العقل والنقل ١/ ١١٥]: ((فتبين أنَّ قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد)).

وكذلك أصحاب البدع المغلظة أشد فتنة على الأمة وضرراً من الكفار الأصليين؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله في الزنادقة الملاحدة من القرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم [مختصر الفتاوى المصرية ١/ ٤٣٧-٤٤٢]: ((وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من الكفار المحاربين؛ مثل كفار الترك والإفرنج وغيرهم، فإنَّ هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاته أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا بأحدٍ من المرسلين ولا شريعة من الشرائع السماوية ولا بملة من الملل، بل يحرفون كلام الله ورسوله المعروف عند المسلمين إلى أمور من الإلحاد والكفر، يدعون أنها من علم الباطن وهو الزندقة والشرك وتكذيب الله وكل رسله، إذ مقصودهم الحقيقي هو هدم الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق،... إلى أن قال: وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار في كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين وبالأخص الصوفية، وإن كان العامة منهم لا يوافقونهم على أصل كفرهم لأنهم لا يعرفون حقيقته ولو عرفوه لتبرأوا منه،... إلى أن قال: ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم وسير إلى بلاد المسلمين التي ليس لهم فيها ظهور: فإما أن يهديه الله أو يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين.

ولا ريب أنَّ جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأوجب الواجبات، وهو أفضل من جهاد من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإنَّ جهاد هؤلاء حفظ وتطهير لما بأيدي المسلمين من بلادهم وأزواجهم وأبنائهم وأموالهم، وقتال العدو الخارج من اليهود والنصارى والمشركين إنما هو لإظهار الدين، وحفظ الأصل مقدَّم على حفظ الفرع، وأيضاً فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من أولئك، بل ضرر هؤلاء في الدِّين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب، فواجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من حربهم ودفع شرهم، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل ينبغي أن يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ويحذروه، ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله، فإنَّ هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وقد قال لنبيه: "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم" ((.

وقال في ردّه على الملاحدة من الاتحادية والحلولية كما في [المجموع ٣٥٩/٢ - ٣٦١]: ((فَهَذِهِ الْمَقَالَاتُ وَأَمْثَالُهَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَاطِلِ، وَقَدْ نَبَّهْنَا عَلَى بَعْضِ مَا بِهِ يُعْرَفُ مَعْنَاهَا وَأَنَّهُ بَاطِلٌ، وَالْوَاجِبُ إِنكَارُهَا، فَإِنَّ إِنكَارَ هَذَا الْمُنْكَرِ السَّارِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْلَى مِنْ إِنكَارِ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِي لَا يَصِلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ؛ لَا سِيَّما وَأَقْوَالُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ أَقْوَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَفِرْعَوْنَ، وَمَنْ عَرَفَ مَعْنَاهَا وَاعْتَقَدَهَا كَانَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِجَهَادِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: "جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ"، وَالنِّفَاقُ إِذَا عَظُمَ كَانَ صَاحِبُهُ شَرًّا مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ. وَلَيْسَ لِهَذِهِ الْمَقَالَاتِ وَجْهٌ سَائِعٌ وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ بَعْضَهَا يَحْتَمِلُ فِي اللُّغَةِ مَعْنَى صَحِيحًا، فَإِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا إِذَا لَمْ يُعْرَفْ مَقْصُودُ صَاحِبِهَا، وَهَؤُلَاءِ قَدْ عُرِفَ مَقْصُودُهُمْ

كَمَا عُرِفَ دِينُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالرَّافِضَةِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كُتِبَ مُصَنَّفَةٌ وَأَشْعَارُ مُؤَلَّفَةٌ وَكَلَامٌ يُفَسَّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَقَدْ عَلِمَ مَقْصُودُهُمْ بِالضَّرُورَةِ فَلَا يُنَازِعُ فِي ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ لَا يُلْقَتْ إِلَيْهِ.

وَيَجِبُ بَيَانُ مَعْنَاهَا وَكَشْفُ مَغْزَاهَا لِمَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِهَا وَخِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِهَا أَوْ أَنْ يَضِلَّ، فَإِنَّ ضَرَرَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمُ مِنْ ضَرَرِ السُّمُومِ الَّتِي يَأْكُلُونَهَا وَلَا يَعْرِفُونَ أَنَّهَا سُمُومٌ، وَأَعْظَمُ مِنْ ضَرَرِ الشَّرَاقِ وَالْخَوْنَةِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ سَرَّاقٌ وَخَوْنَةٌ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ غَايَةُ ضَرَرِهِمْ مَوْتُ الْإِنْسَانِ أَوْ ذَهَابُ مَالِهِ وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ فِي دُنْيَاهُ قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَسْتَقُونَ النَّاسَ شَرَابَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ فِي آيَةِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ مِنَ الْمُحَارِبِينَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيُظْهِرُونَ كَلَامَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِ أَلْفَاظِ أَوْلِيَائِ اللَّهِ الْمُحَقِّقِينَ، فَيَدْخُلُ الرَّجُلُ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَصِيرَ مُؤْمِنًا وَلِيًّا لِلَّهِ فَيَصِيرُ مُنَافِقًا عَدُوًّا لِلَّهِ.

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ لَهُمْ مَرَّةً مَثَلًا بِقَوْمٍ أَخَذُوا طَائِفَةً مِنَ الْحُجَّاجِ لِيَحْجُوا بِهِمْ فَذَهَبُوا بِهِمْ إِلَى قُبْرُصَ لِيَنْصُرُوهُمْ، فَقَالَ لِي بَعْضُ مَنْ كَانَ قَدْ انْكَشَفَ لَهُ ضَلَالَتُهُمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ: لَوْ كَانُوا يَذْهَبُونَ بِنَا إِلَى قُبْرُصَ لَكَانُوا يَجْعَلُونَنَا نَصَارَى، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا يَجْعَلُونَنَا شِرًّا مِنَ النَّصَارَى، وَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ هَذَا الْقَائِلُ.

وَقَدْ رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ عَمَّنْ ظَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِ اللَّهِ، وَأَنَّ كَلَامَهُمْ كَلَامُ الْعَارِفِينَ الْمُحَقِّقِينَ مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ مَا لَا أَحْصِيَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ فِي إِلْحَادِهِمْ وَفَهَمَهُ وَصَارَ مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِمَا لَا يَعْلَمُ وَيُعْظَمُ مَا لَا يَفْهَمُ وَيُصَدِّقُ بِالْمُجْهُولَاتِ؛ وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْلَحُ الطَّوَائِفِ الضَّالِّينَ، وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يُعْظَمُ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَيُوَالِي الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ ظَانًّا أَنَّهُمْ مِنْ

أَهْلَ الْإِيمَانِ وَأُولِي الْأَلْبَابِ، وَقَدْ دَخَلَ بِسَبَبِ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ الْمُعْظَمِينَ هُمْ مِنَ الشَّرِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ)).

وكذلك فتنة الكافر المرتد أشد من فتنة الكافر الأصلي؛ ولهذا كانت عقوبته أعظم، قال شيخ الإسلام رحمه الله [المجموع ٢٨ / ٥٣٤-٥٣٥]: ((وَقَدْ اسْتَقَرَّتِ السُّنَّةُ بِأَنَّ عُقُوبَةَ الْمُرْتَدِّ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةِ الْكَافِرِ الْأَصْلِيِّ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ...، وذكرها ثم قال: وَإِذَا كَانَتْ الرَّدَّةُ عَنْ أَصْلِ الدِّينِ أَعْظَمَ مِنَ الْكُفْرِ بِأَصْلِ الدِّينِ، فَالرَّدَّةُ عَنْ شَرَائِعِهِ أَعْظَمُ مِنْ خُرُوجِ الْخَارِجِ الْأَصْلِيِّ عَنْ شَرَائِعِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ مُؤْمِنٍ يَعْرِفُ أَحْوَالَ التَّارِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ فِيهِمْ مِنَ الْفُرْسِ وَالْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ شَرٌّ مِنَ الْكُفَّارِ الْأَصْلِيِّينَ مِنَ التُّرْكِ وَنَحْوِهِمْ، وَهُمْ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعَ تَرْكِهِمْ لِكَثِيرٍ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ مِنَ الْفُرْسِ وَالْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ.

وَهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِمَّنْ كَانَ مُسْلِمَ الْأَصْلِ هُوَ شَرٌّ مِنَ التُّرْكِ الَّذِينَ كَانُوا كُفَّارًا، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ الْأَصْلِيَّ إِذَا ارْتَدَّ عَنْ بَعْضِ شَرَائِعِهِ كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِمَّنْ لَمْ يَدْخُلْ بَعْدُ فِي تِلْكَ الشَّرَائِعِ مِثْلَ مَانِعِي الرِّكَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ قَاتَلَهُمُ الصَّدِيقُ.

وَإِنْ كَانَ الْمُرْتَدُّ عَنْ بَعْضِ الشَّرَائِعِ مُتَّفَقًا أَوْ مُتَّصِفًا أَوْ تَاجِرًا أَوْ كَاتِبًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ فَهَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنَ التُّرْكِ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي تِلْكَ الشَّرَائِعِ وَأَصَرُوا عَلَى الْإِسْلَامِ.

وَلِهَذَا يَجِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ضَرَرِ هَؤُلَاءِ عَلَى الدِّينِ مَا لَا يَجِدُونَهُ مِنْ ضَرَرِ أُولَئِكَ، وَيَنْقَادُونَ لِلْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ وَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَعْظَمَ مِنْ انْقِيَادِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ بَعْضِ الدِّينِ وَنَافَقُوا فِي بَعْضِهِ؛ وَإِنْ تَظَاهَرُوا بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى الْعِلْمِ وَالِدِّينِ، وَغَايَةُ مَا يُوجَدُ مِنْ هَؤُلَاءِ يَكُونُ مُلْحِدًا نُصِيرِيًّا أَوْ إِسْمَاعِيلِيًّا أَوْ رَافِضِيًّا، وَخِيَارُهُمْ يَكُونُ جَهْمِيًّا اتِّحَادِيًّا أَوْ نَحْوَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَنْضَمُّ إِلَيْهِمْ طَوْعًا مِنَ الْمُظْهِرِينَ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ زَنْدِيقٌ أَوْ

فَاسِقٌ فَاجِرٌ، وَمَنْ أَخْرَجُوهُ مَعَهُمْ مُكْرَهًا فَإِنَّهُ يُبْعَثُ عَلَى نِيَّتِهِ، وَنَحْنُ عَلَيْنَا أَنْ نُقَاتِلَ الْعَسْكَرَ جَمِيعَهُ إِذْ لَا يَتَمَيَّزُ الْمُكْرَهُ مِنْ غَيْرِهِ)).

وقال في [المجموع ١٩٣/٢]: ((وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّارَ الْكُفَّارَ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مُرْتَدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَقْبَحِ أَهْلِ الرَّدَّةِ، وَالْمُرْتَدُّ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْأَصْلِيِّ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ)).

وكذلك المنافق شرٌّ من الكافر الظاهر؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله في [الرد على البكري ٢٧٨/١]: ((وَمَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَكَانَ مُنَافِقًا فَهُوَ شَرٌّ مِنَ النَّصَارَى كَمَا كَانَ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ وَالْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ هُوَ فِي الْبَاطِنِ لَا يَقْرَبُهَا يَقْرَبُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ أَصْلِ التَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ وَالْمَعَادِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَدْ كَفَرُوا مِنْ ذَلِكَ بِمَا صَارُوا بِهِ كَافِرِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" الْآيَةَ، فَلِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَمْ يَقْرَأُوا فِي الْبَاطِنِ بِأَصْلِ ذَلِكَ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"، وَمَنْ كَانَ مُشَارِكًا لَهُمْ فِي مَا ذَمَّهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ شَرٌّ مِنْهُمْ أَوْ فِي بَعْضِهِ، فَفِيهِ مِنَ الشُّبْهِ بِهِمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الدَّمَ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ مَا يَعْلَمُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ خِلَافَةً فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)).

وقال في [المستدرک علی مجموع الفتاوی ١١٢/٥]: ((وَمَنْ اعْتَادَ الْكَذِبَ فَصَارَ إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّعَمَّنَ خَانَ: فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَالْمُنَافِقُ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ)).

أقول:

وقد أخرج ابن أبي شيبة والبخاري عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن حذيفة رضي الله عنه قال: ((الْمُنَافِقُونَ الْيَوْمَ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ أَشَرُّ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))، فقلنا له: وكيف ذلك؟! فقال: ((أُولَئِكَ أَسْرُوا نِفَاقَهُمْ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَعْلَنُوهُ))، وقال في أثر آخر: ((إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَصِيرُ بِهَا مُنَافِقًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُهَا الْيَوْمَ مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْمَجْلِسِ عَشَرَ مَرَّاتٍ!))، وسمع رجلاً يقول: اللَّهُمَّ أَهْلِكَ الْمُنَافِقِينَ، فقال له: ((لَوْ هَلَكُوا مَا أَنْتَصَفْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ!!)).

قلتُ:

وهذا في ذلك القرن الفاضل، فكيف لو أدرك حذيفة رضي الله عنه زماننا هذا؟! ومن صور هذا النفاق؛ ما نقله الإمام ابن بطه رحمه الله في الإبانة الكبرى بسنده عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: "الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق".

قال الإمام ابن بطه معقباً: ((صدق الفضيل رحمة الله عليه، فإننا نرى ذلك عياناً))، ثم ذكر بعده أنه قيل للأوزاعي: إِنَّ رجلاً يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدع؟! فقال الأوزاعي: "هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل"، وعقب بعده فقال: ((صدق الأوزاعي؛ أقول: إِنَّ هذا رجل لا يعرف الحق من الباطل، ولا الكفر من الإيمان، وفي مثل هذا نزل القرآن، ووردت السنة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا: آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ"))، وذكر حديث: ((مثل المنافق في أمتي كمثل الشاة العائرة بين الغنمين؛ تصير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيها تتبع))، ثم قال: ((كثر هذا الضرب من الناس في زماننا هذا!، لا كثرهم الله، وسلّمنا وإياكم من شر المنافقين، وكيد الباغين، ولا

جعلنا وإياكم من اللاعبين بالدين، ولا من الذين استهوتهم الشياطين، فارتدوا ناكسين، وصاروا حائرين)).

قلتُ:

كيف في زماننا هذا؟!

يقول الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله كما في [مجالس تذكيرية في تفسير آيات قرآنية ص ٧٦]: ((والله إنَّ بعض السلفيين أو المتسلفين ينحرف في جزئية أو كلية ثم تتلى عليه الآيات والأحاديث وأقوال العلماء فلا يرجع!، فيصبح أسوأ من أهل البدع!، يصبح أسوأ وأفجر وأخبث من أهل البدع؛ لأنَّ فيه شبهاً بالمرتدين، المرتد عرف الإسلام وعرف الحق ثم انحرف عن الإسلام وارتد عنه، فهو أقبح وأخبث من الكافر الأصلي، وهذا الذي كان سلفياً ثم انحرف يكون أقبح من المبتدع الأصلي، وأشدَّ عناداً، ويدخل في الكذب والبهتان في محاربة الحق وأهله، ونحن نعيش من سنوات مع أناس يلبسون لباس السلفية وهم أكذب وأفجر من أهل البدع والعياذ بالله، ويقعون في كذب يخجل منه اليهود والنصارى؛ فيهم شبه بالمرتدين الذين عرفوا الحق وناذبوه وحاربوا أهله، وأخشى أنَّ بعضهم يقع في الردة والعياذ بالله، لأنه عرف الحق وحاربه وأبغضه والعياذ بالله، وأبغض أهله وحاربهم، فهذا الآن يجري في أناس يرفعون عقيرتهم بأنهم من السلف وهم أسوأ من الخلف، وأخطأ أخلاقاً، فاحذروا هذه الأصناف وحذروا منها، تنصحه بالرجوع إلى الحق وتأتي له بأقوال العلماء وأحكامهم المعصدة بالأدلة والبراهين، فيطعنون فيهم ويسقطونهم، يسقط الحق وأهله، ويسقط الأدلة والبراهين، ويتشبث بأباطيله، فاحذروا من هؤلاء أشدَّ مما تحذرون من أهل البدع، وحذروا منهم فإنهم قد سلكوا أنفسهم في شرِّ أنواع أهل البدع، والعياذ بالله)).

كلما كانت الطائفة المنحرفة أو الفرد المنحرف أقرب إلى أهل السنة كلما كان أشد فتنة وضرراً

ومن هذا البسط والبيان نعلم أنَّ الطائفة المنحرفة أو الفرد الذي عنده مخالفات كلما كان أقرب إلى أهل الحق كلما كانت الفتنة به على أهل السنة أشد وضرره فيهم أعظم، لأنَّ الناس يغترون به وبكلامه.

قال الإمام ابن نصر السجزي رحمه الله في رسالته [الرد على مَنْ أنكر الحرف والصوت ص ١٧٧]: ((والمعتزلة مع سوء مذهبهم أقل ضرراً على عوام أهل السنة من هؤلاء - الأشاعرة -، لأنَّ المعتزلة قد أظهرت مذهبها ولم تستقف ولم تموّه، بل قالت: إنَّ الله يد بذاته في كل مكان، وإنه غير مرئي، وإنه لا سمع له ولا بصر ولا علم ولا قدرة ولا قوة ولا إرادة ولا كلام ولا صفات مضافة إلى ذاته لازمة لها، بل هذه الأشياء أفعال له محدثة في غيره، وأنَّ القرآن مخلوق، وإنَّ من مات من غير توبة من أصحاب الكبائر خُلد في النار مع الكفار، وإنَّ الحوض والشفاعة والميزان لا أصل لها، وإنَّ من زنا أو سرق أو ارتكب كبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر وسمي فاسقاً، وإنَّ الدار إذا لم يظهر فيها قولهم دار حرب، وإنَّ مَنْ انتحل مذهب أهل الأثر واعتقد ما في الأحاديث على ظاهرها حشوي وعند التحقيق كافر، فعرف أكثر المسلمين مذهبهم وتجنبوهم وعدوهم أعداء. والكلاية والأشعرية قد أظهروا الردَّ على المعتزلة والذبَّ عن السنة وأهلها، وقالوا في القرآن وسائر الصفات ما ذكرنا بعضه، وقولهم في القرآن حيرة يدعون قرآناً ليس بعربي، وأنه الصفة الأزلية، وأما هذا النظم العربي فمخلوق عندهم، ويقولون: الإيمان التصديق؛ وعلى أصلهم أنَّ مَنْ صدَّق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو مؤمن... - ثم ذكر بعضاً من مذهب أبي الحسن الأشعري - ثم قال: وكذلك كثيرٌ من مذهبه يقول في

الظاهر بقول أهل السنة مجملًا!، ثم عند التفسير والتفصيل يرجع إلى قول المعتزلة، فالجاهل يقبله بما يظهره، والعالم يهجره لما منه يخبره، والضرر بهم أكثر منه بالمعتزلة؛ لإظهار أولئك ومجانبتهم أهل السنة، وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق)).

وقال رحمه الله: ((فالمتبع للآثر يجب تقدمه وإكرامه؛ وإن كان صغير السن غير نسيب، والمخالف له يلزم اجتنابه؛ وإن كان مسنًا شريفًا.

والذين بُلي كثيرٌ من أهل العلم بهم المعتزلة، وهم أعداء الأثر وأهله، وكبرائهم: أبو الهذيل العلاف، وجعفر بن مبشر، والنظام، والجاحظ، وأبو علي الجبائي، وابنه أبو هاشم، وأبو القاسم الكعبي، وقبل هؤلاء: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبعدهم أبو عبدالله البصري وأبو القاسم الواسطي، وبعدهما صاحب إسماعيل بن عباد، وعبد الجبار الأسد أبادي؛ كل هؤلاء دعاة إلى الضلالة.

ثم بُلي أهل السنة بعد هؤلاء بقوم يدعون أنهم من أهل الإتياع وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم، وهم: أبو محمد بن كلاب، وأبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري، وبعدهم محمد بن أبي ترديد بسجستان، وأبو عبدالله بن مجاهد بالبصرة، وفي وقتنا: أبو بكر بن الباقلاني ببغداد، وأبو إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر بن فورك بخراسان، فهؤلاء يردون على المعتزلة بعض أقاويلهم، ويردون على أهل الأثر أكثر مما ردوه على المعتزلة، وظهر بعد هؤلاء: الكرامية والسلمية، فأتوا بمنكرات من القول، وكلهم أئمة ضلالة يدعون الناس إلى مخالفة السنة وترك الحديث، وإذا خاطبهم من له هيبة وحشمة من أهل الإتياع قالوا: الاعتقاد ما تقولونه، وإنما نتعلم الكلام لمناظرة الخصوم، والذي يقولونه كذب، وإنما يستترون بهذا لئلا يشنع عليهم أصحاب الحديث.

فمن أنكر قولي فليأت بحديث موافق لما قالوه، ولا يجد إلى ذلك والحمد لله سبيلاً، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أخاف على أمتي الأئمة المضلين".

ثم قد دخل في مذاهبهم خلق كثير ممن يتظاهر بالفقه والحديث؛ فمنهم من أظهر ذلك وعرف به، ومنهم المنكر أنه منهم في الظاهر وهو يعصدهم في الباطن ويشني عليهم في الباطن؛ يرضى لنفسه بالكذب والنفاق.

ويتعلّق قومٌ من المغاربة علينا بأنّ أبا محمد بن أبي زيد وأبا الحسن القاسبي قالوا: إنّ الأشعري إمام!، وإذا بان صحة حكايتهم عن هذين فلا يخلو حالهما من أحد وجهين: - أن يُدعى أنهما كانا على مذهبه؛ فلا يحكم بقولهما بإمامته، وإن كانت لهم منزلة كبيرة، كما لم يحكم بما يقول ابن الباقلاني وأشكاله.

وهذه رسالة أبي محمد بن أبي زيد في الفقه ورسالة لأبي الحسن القاسبي في الاعتقاد موجودتان، فأبو محمد قال في رسالته: "إنّ الله فوق عرشه بائن من خلقه"، وعند الأشعري أنّ اعتقاد هذا كفر، وعندنا أنّ أبا محمد محق فيما قال والسنة معه فيه، ولأبي محمد كتاب "إنكار الكلام والجدل والحث على الأثر وإتباع السلف"، وأبو الحسن القاسبي ذكر في كتابه: "إنّ الاعتماد على السمع، وإنّ الكلام والجدال مذموم"، وذكر فيه: "إنّ الله يدين كما يقول أهل الأثر"، وعند بعض أصحاب الأشعري: أنّ الله يد واحدة، ومن قال إن له يدي صفة ذاتية فهو زائع.

- فبان بما ذكرنا أنّ هذين الشيخين رحمهما الله إنّ قالوا ما يُحكى عنهما من إمامة الأشعري؛ فإنما قالاه لحسن ظنهما به، لتظاهره بالرد على المعتزلة والروافض، ولم يخبرا مذهبه، ولو خبراه لما قالاه، والله أعلم)).

وقال الحافظ عبدالغني المقدسي رحمه الله في [عقيدته ص ١٢١]: ((واعلم رحمك الله؛ أن الإسلام وأهله أٌتوا من طوائف ثلاث: فطائفة ردّت أحاديث الصفات وكذبوا رواتها؛ فهؤلاء أشد ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار، وأخرى قالوا بصحتها وقبولها ثم تأولوها؛ فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى، والثالثة جانبوا القولين الأولين وأخذوا بزعمهم ينزهون وهم يكذبون، فأداهم ذلك إلى القولين الأولين، وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأولتين)).

وقال العلامة الشيخ ربيع حفظه الله في شريط [التوحيد يا عباد الله]: ((والله لقد جَنَتَ الفِرْقُ الضَّالَّة على الإسلام جنايةً لا نظير لها؛ ولهذا قال العلماء الفحول: "إنَّ أهل البدع أضُرَّ على الإسلام من اليهود والنصارى"، لأنَّ اليهود والنصارى مكشوفون، لو جاء اليهودي ببعض الكلام الذي فيه الصُّدق أمكن ألا يُقبل منه؛ لكن هذا الدَّجال يَأْتِيكَ بالطوام، يَأْتِيكَ بالكفر والشُّرك والضَّلال تصدِّقه؛ لأنَّه يَأْتِيكَ بجبة وهيئة وعمامة، ويَهْلُلُ ويسبِّح، ويعطيك السُّموم فتقبل منه السُّموم والبلايا والضَّلال.

ولهذا ترى هذه القبور منتشرةً في العالم الإسلامي، فتُشَاد في بعض البلدان مدُن من القبور، فتُشَدُّ إليها الرِّحال، وتُسَاق إليها الذبائح والنُّذور، وتُرى الأبقار والأغنام يسوقونها هناك، فهذا البدوي بمصر يجتمع إليه ملايين من النَّاس، ففي سنة من السَّنوات اجتمع عليه ثلاث ملايين!، أكثر من اجتماع المسلمين في عرفات!، هذا البدوي الذي يقولون عنه أنه كان من جواسيس الباطنية!، جعلوه معبودًا يعبدُه كثير من أهل مصر وغيرهم - أهل مصر فيهم موحدون والحمد لله - يعبدونه، ويشدُّون إليه الرِّحال، ويقربون له القرابين، وقل مثل ذلك في العراق، وقل مثل ذلك في إيران، وقل مثل ذلك في باكستان، وقل مثل ذلك في السودان، والمغرب العربي، والجزائر، وغيرها من البلدان.

جاء بهذا أهل الضلال ولا سيما الصوفية الذين خدعوا المسلمين، وأوقعوا كثيرًا منهم في حبال الشُّرك بالله تبارك وتعالى، فإن قام أحدٌ يدعو إلى توحيد الله الخالص حاربوه، ووصفوه بأنه عدوٌ لرسول الله عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!، إذا قيل لهم: لا تدعُوا الأنبياء ولا الأولياء، يقولون: هذا عدو الأنبياء والأولياء!، قاتلهم الله أنى يؤفكون؛ فاعرفوا مكائدهم، وحاولوا إنقاذ النَّاس من براثنهم)).

وقال حفظه الله [في جواب مسجّل مفرّغ بتاريخ الرابع عشر من شهر رمضان لعام ١٤٢٠هـ] ((ومن هنا نستحضر ما سلف من الأسئلة عن المقولة: بأنّ "أهل البدع أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى"؟ ألا ترون بهذه النداءات وبهذه الدعوات وبهذه المؤتمرات أنّه حقًا وضح لنا أنّهم أخطر على الإسلام والمسلمين من الأعداء الخارجيين؟!))

لأننا كما قلنا غير مرة: إنّ المسلم مهما بلغ في السخف لا ينخدع باليهود والنصارى، حتى إنّّه قد لا يقبل الحقّ منهم لسوء ظنه بهم وعدم ثقته فيهم، بينما قد ينخدع بأهل البدع والضلالات؛ ولا سيما أصحاب الشعارات البراقة مثل الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ، قد ينخدع، وانخدع الكثير والكثير من أهل السنة ومن أهل التوحيد، انخدعوا بهؤلاء فلحق بالإسلام وبشباب الأمة من الأضرار ما لا يحصيه إلا الله، وظهر مصداق ما قال هؤلاء الأفذاذ من أئمة الإسلام: أنّ أهل البدع أضّر على الإسلام من أعداء الإسلام الخارجيين)).

وقال حفظه الله في [نفس المصدر السابق]: ((وأنا في نظري: أنّ أخطر أهل البدع الآن على المنهج السلفي وأهله جماعتان؛ جماعة التبليغ، وجماعة الإخوان بفصائلها، وشرهم مستفحل أكثر من أهل البدع جميعًا، فلا تترك فتنتهم بيتًا إلا دخلته، لأنّ أهل البدع من خوارج وروافض ومعتزلة كانوا منطوين على أنفسهم منعزلين مقموعين لا

يدخلون مساجد أهل السنة فيستولون عليها، ولا ينصبون أنفسهم أئمة وخطباء فيها، ولا يدخلون في مدارسهم، ولا يتسللون إلى بيوت المسلمين إلى نسائهم وصبيانهم، أما هؤلاء ما تركوا موقعاً إلا وتسللوا فيه، وتسللوا إلى الابن وإلى المرأة وإلى البنت وإلى البيت وإلى المسجد، وإلى كل موقع من مواقع المسلمين، من مواقع أهل السنة، فلا شك أنّ خطرهم شديد جداً، في الوقت الذي ميّعوا فيه الإسلام، ميّعوا فيه العقائد، وخطّوا من شأنها، لا بالكلام ولكن بالعمل، فتراهم يحاربون من يدعو إلى العقيدة ويسخرون منه، ومن يدعو إلى الكتاب والسنة ويسخرون منه ويحاربونه، ويحبّون أهل البدع ويوالونهم، ويضعون أصولاً كما قلنا لم يهتد إليها الشيطان منذ فجر تاريخ البشرية إلى يومنا هذا، ولم تهتد إلى هذه الأصول كلّ فرق الضلال من الخوارج والمعتزلة والمرجئة الخ، واخترعوا هذه الأصول تمويهاً وكذباً على القرآن والسنة، وبتراً وخيانة في كلام العلماء، وأخرجوا كتباً تنادي بمنهج الموازنات، لماذا؟! لحماية البدع وأهلها وكتبها ومناهجها، وللحطّ من أهل السنة والجماعة، اخترعوا "فقه الواقع" لإسقاط المنهج السلفي وعلمائه)).

وقال وفقه الله في رده على عبدالرحمن عبدالخالق [النصر العزيز على الرد الوجيز ص ٣٥]: ((ومؤلفات ابن تيمية في نقد الأشعرية والصوفية أكثر من مؤلفاته في نقد اليهود والنصارى، وعلماء كثيرون يقولون في أهل البدع: أنهم أخطر على الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى، وبعضهم يبين وجه هذا، وبعضهم لا يبين، وأنا لا أقول مثل هذا الكلام إلا وأبين: بأن المسلمين في الغالب يحذرون اليهود والنصارى فلا يصدقونهم في شيء، بعكس أهل البدع فإن المسلمين يخدعون بهم فيقبلون ما عندهم من البدع، ومن هنا كان الإخوان المسلمون جسوراً لنشر الرفض)).

أهل التنذيل لا يسمع لهم صوت إلا في تشبيط أهل الحق

٣- قال تعالى: ((وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ: إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا؟ قَالُوا: مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ((يُخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق:

- فرقة ارتكبت المحذور؛ واحتالوا على اصطيد السمك يوم السبت، كما تقدم بيانه في سورة البقرة.

- وفرقة نهت عن ذلك وأنكرت واعتزلتهم.

- وفرقة سكتت، فلم تفعل، ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة: "لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا؟" أي: لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟! فلا فائدة في نهيكهم إياهم. قالت لهم المنكرة: "مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ" قرأ بعضهم بالرفع، كأنه على تقديره: هذا معذرة، وقرأ آخرون بالنصب، أي: نفعل ذلك "مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ" أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، "وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"، يقولون: ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم.

قال تعالى: "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ"، أي: فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة، "أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا" أي: ارتكبوا المعصية "بِعِزِّ

بَيْسٍ"، فنصَّ على: نجاة الناهين، وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأنَّ الجزء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيماً فيُذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم: هل كانوا من الهالكين أو من الناجين؟ على قولين)).

قلتُ:

لو تأمل القارئ في هذه القصة مع هذا الشرح لعلم أنَّ هؤلاء الساكتين عن المخالفين هم أسلاف أهل التخذيل اليوم، فكما أنَّ أولئك لم يُسمع لهم صوت ضد المنكر وأهله، وإنما ارتفعت أصواتهم في وجوه الناهين عن المنكر لصدهم وتخذيلهم، فكذلك اليوم يفعل المخذَّلون كما فعل أولئك، فإنَّ السلفيين الذين يردون على الباطل ويكشفون أهله يعانون من هذا الطابور المخدَّل معاناة شديدة، لأنَّ هؤلاء المخدَّلين تركوا أهل الباطل وتوجَّهت سهامهم في ظهور إخوانهم من أهل الحق إرجافاً وتشيطاً وذماً وتنفيراً. ولينظر أهل التخذيل إلى مصيرهم وعاقبتهم، فإنهم لما سكتوا عن الباطل وأهله سكت الله عزَّ وجلَّ عن بيان عاقبتهم؛ هل هم من الناجين أم من الهالكين؟! وأيُّ وعيد يتخوَّف العبد الصادق منه مثل أن يجهل عاقبته؟! وأيُّ مهانة لقدر هؤلاء المخدَّلين مثل أن يخذلهم الله فلا يرفع شأنهم ولا يذكرهم بخير؟!!

وأي منزلة أعظم ومكانة أرفع مثل أن يعرف العبد أنه من الناجين، وأنَّ الله يشني عليه خيراً؟!!

والجزء من جنس العمل.

وقصة أصحاب السبت هذه تذكرنا بحديث أصحاب السفينة المعروف؛ وقد أخرجه أحمد والبخاري وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، الْمُدَّهِنِ فِيهَا:

مَثَلُ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا وَأَوْعَرُهَا وَشَرَّهَا، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا الْمَاءَ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَأَذَوْهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرَقًا فَاسْتَقَيْنَا مِنْهُ وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَأَمَرَهُمْ هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا جَمِيعًا)) وهذا اللفظ عند أحمد، وعند ابن حبان وغيره بلفظ: ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْمُدَاهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ: كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا فِي سَفِينَةٍ، فَأَقْتَرَعُوا مَنَازِلَهُمْ، فَصَارَ مَهْرَاقُ الْمَاءِ وَمُخْتَلَفُ الْقَوْمِ لِرَجُلٍ فَضَجِرَ، فَأَخَذَ الْقُدُومَ - وَرُبَّمَا قَالَ الْفَأْسَ - فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِلْآخَرِ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يُغْرِقَنَا وَيَحْرِقَ سَفِينَتَكُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: دَعُهُ فَإِنَّمَا يَحْرِقُ مَكَانَهُ)).

فهؤلاء ثلاثة أصناف أيضاً:

الأول: القائم على حدود الله، الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الذي لا يسكت عن الفساد والمنكر.

الثاني: الواقع في المنكرات الراكب للباطل.

الثالث: المداهن، الذي لا يُنكر على أهل الفساد، ولا يُسمع له صوت ضدهم، لكنه يسعى في تخذيل القائمين على حدود الله بقوله: ((دَعُهُ فَإِنَّمَا يَحْرِقُ مَكَانَهُ))!.

ومما لا يخفى على أحد أن السكوت عن الباطل وأهله موجب للعقاب العام الذي لا ينجو منه إلا الناهون عن المنكر، قال تعالى: ((فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ. وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)).

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ"، وَإِنَّا

سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ
أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللَّهُ بِعِقَابِهِ)).

فأين أهل الإرجاف والتخذيل من هذه النصوص؟!

أليس فيها عبرة وذكرى؟!

نعم والله فيها ذكرى ووعد؛ لكن لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الإرجاف سبيل من سبل أهل التخذيل

٤ - قال تعالى: ((لِنَّ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)).

ذكر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة ثلاثة أصناف من أهل الفتنة: المنافقين،
والذين في قلوبهم مرض، والمرجفين.

فأما المنافقون فهم الذين يظهرون الإيثار ويطنون الكفر، وأما الذين في قلوبهم
مرض فهم صنف من ضعفاء الإيثار في قلوبهم ريبة وحب الشهوة والفجور، وأما
المرجفون فهم صنف من أهل الإيثار يشيعون الأخبار التي تزلزل المؤمنين وتضعف
شوكتهم.

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: ((وَقَوْلُهُ: "وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ" يَقُولُ:
وَأَهْلُ الْإِرْجَافِ فِي الْمَدِينَةِ بِالْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ))، وقال العلامة السعدي رحمه الله في
تفسيره: ((وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ" أَي: الْمُخَوِّفُونَ الْمَرْهَبُونَ الْأَعْدَاءَ، الْمُحَدِّثُونَ بِكَثْرَتِهِمْ
وَقُوَّتِهِمْ وَضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ)).

والإرجاف سبىل من سبىل التذذىل؁ ولقد استعمله بعض المبطلين والضعفاء فى تروىع أهل السنة وإرهابهم وتكمىم أفواههم وتكسىر أقلامهم؁ فأشاعوا فىهم أن أهل الباطل لهم شوكة وقوة وأعوان وأنصار قد مىركونهم ومىرشونهم وموشون إىلهم ضد من ىرد علىهم وىكشف باطلهم؁ وىذىعون فىهم أن أهل السنة ضعفاء غرباء لا شوكة لهم ولا أنصار؁ وأن الواجب علىهم أن لا ىتكلموا فى أهل الباطل ولا ىردوا علىهم ولا ىواجهونهم؁ والله تعالى ىقول: ((الذىن قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوأ لكم فأخشوهم؁ فزادهم إىماناً وقالوا حسبنأ الله ونعم الوكىل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم ىمسسهم سوءً واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظم. إنما ذلكم الشىطان ىخوف أولىاءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنىن)).

وإن من المؤسف حقاً أن ىستعمل هذا السبىل الرخىص بعض ضعفاء أهل السنة أو من فى قلبه مرض من شبهة ورىبة أو بعى وحسد فىشىع فى أهل السنة أن فلاناً الذى ىرد على أهل الأهواء والبدع بالردود العلمىة القوىة فىه كذا وكذا نقلاً عن أخبار كاذبة ونقول باطلة ومصادر مآهولة!؁ ثم ىبدأ هذا المآذىل المسكىن بنشر هذه الأراجىف والشائعات التى تُضعف أهل السنة وىتقوى بها أهل الباطل والفجور؁ ومآاول أن ىخرج كلامه هذا مخرج النصىحة والبىان!؁ ولو نظرنا فى حاله مع المآالفىن لعلمنا أنه شذىً غلىظ مع أهل الحق رعىم رفىق مع أهل الباطل!؁ ىتكلم فى أهل السنة بأذى شىء ىسمعه أو ىنقل إىله ولو كان من مآهول لا ىعرف حاله من غير تثبت ولا تدقىق فى خبره؁ أما الرد على أهل الباطل وبىان حالهم وكشف مناهآهم فىتن فىه؁ وىدعو إلى الصبر الطوىل على المآالف وإبداء النصىحة المتكررة معه بالآكمة وبالتى هى آحسن؁ وىصور المآالف بأن له آثاراً وآهوداً فى الدعوة والتعلىم أو له شوكة وقوة وأنصار ولا بد من مرعاة ذلك؁ فهؤلاء هم المرجفون فآذروهم.

العلاقة بين أهل التخذيل والمخالفين الظاهرين

٥- أخرج البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ))، وفي لفظ عندهما: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)).

وهذا الحديث يؤكد الحقيقة المتقدمة، وهي أَنَّ الناس ثلاثة أصناف: القائمين بأمر الله الظاهرين على الحق، والمخالفين، والخاذلين المخذلين.

وليس ثمة فرق بين الروايات التي ذكرت المخالفين فقط وبين الروايات التي ذكرت المخالفين والخاذلين، لأنَّ الخاذل بالنتيجة هو مخالف لمواقف القائمين بأمر الله كما تقدّم بيانه، وهو أيضاً ساكتٌ عن المخالفين أو مداهنٌ لهم، قال شيخ الإسلام رحمه الله [المجموع ١٨ / ٢٩٦]: ((فَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمُصْذِقُ أَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مُتَمَنِّعَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ عَلَى الْحَقِّ أَعَزَّاءٌ لَا يَضُرُّهُمْ الْمُخَالِفُ وَلَا خِلَافُ الْخَاذِلِ))، وقال في موضع آخر [المجموع ٤ / ٤٤٧]: ((فَإِذَا دَلَّتْ هَذِهِ النُّصُوصُ عَلَى أَنَّ الطَّائِفَةَ الْقَائِمَةَ بِالْحَقِّ مِنْ أُمَّتِهِ الَّتِي لَا يَضُرُّهَا خِلَافُ الْمُخَالِفِ وَلَا خِذْلَانُ الْخَاذِلِ هِيَ بِالشَّامِ...)).

والمقصود أَنَّ الطوائف في وقت المواجهة والمحنة والفتنة ثلاثة؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله في [المجموع ٢٨ / ٤١٧]: ((وَأَعْلَمُوا أَصْلَحَكُمْ اللَّهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ" وَثَبَتَ أَنَّهُمْ بِالشَّامِ، فَهَذِهِ الْفِتْنَةُ قَدْ تَفَرَّقَ النَّاسُ فِيهَا ثَلَاثَ فِرَقٍ: الطَّائِفَةُ الْمُنْصُورَةُ وَهُمْ الْمُجَاهِدُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الْمُفْسِدِينَ، وَالطَّائِفَةُ الْمُخَالَفَةُ وَهُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَمَنْ تَحَيَّرَ إِلَيْهِمْ مِنْ خِبَالَةِ الْمُتَسَبِّينَ إِلَى

الإسلام، والطائفة المخدلة وهم القاعدون عن جهادهم وإن كانوا صحيحي الإسلام،
فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة؟ أم من الخاذلة؟ أم من المخالفة؟ فما بقي قسم
رابع)).

أقول:

وإن مما يعانيه الكثير من السلفيين النبلاء في هذا الزمان في كثير من بقاع الأرض
هذه الهجمة الشرسة الهوجاء الصادرة هذه المرة من أناس هم من جلدتنا ويتكلمون
بالستنا!، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس!، يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق
وهم يعلمون، هذا الصنف من الناس يملك إمكانية عجيبة في قلب الحقائق وتزوير
الوقائع وتشويه المواقف ونقل الأكاذيب والأباطيل وتصوير المظلوم المحق ظالماً مبطلاً
والظالم المبطل مظلوماً محقاً بما أوتوا من مكر وخداع وكذب وتلبيس، هؤلاء الناس لا
يعرفون معروفاً ولا يُنكرون منكراً إلا ما أُشرب هواهم، ولا يُسمع لهم صوت إلا في
تشيط أهل السنة الغيورين عن جهاد أهل البدع وكشف المبطلين!، ولا يرى لهم موقف
إلا في صد أهل الحق الصادقين وتخذيلهم عن القيام بالواجب الشرعي عند ظهور البدع
وأهل الزيغ!، هؤلاء هم أهل التخذيل، أو كما يصفهم العلامة الشيخ محمد بن هادي
المدخلي حفظه الله بـ (الطَّابُورِ المَخْذَلِ)، وقانا الله عز وجل شرهم، ورد كيدهم في
نحوهم.

قال العلامة الشيخ محمد بن هادي المدخلي حفظه الله كما في [شرح "الإبانة
الصغرى لابن بطة" / الدرس الرابع المنقول عبر إذاعة ميراث الأنبياء] بعد أن نقل كلام
الفضيل بن عياض والأوزاعي وتعليق ابن بطة عليهما، وقد تقدّم ذكره: ((عَلَّقَ المَصْنِفُ
رحمه الله في إبانته الكبرى يقول: "كثُرَ هذا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا لَا كَثَرَهُمُ اللَّهُ" فِي
زَمَانِهِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ!، وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ عَشَرَ، بَيْنَ زَمَانِهِ وَزَمَانِنَا الْيَوْمَ أَلْفَ

سنة وست وستين سنة تقريباً، ويقول هذا الكلام في ذلك الحين "لقد كثر هذا الضرب من الناس في زماننا لا كثرهم الله"، أجل، ما نقول نحن اليوم؟! إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا الطّابور المخذل اليوم، نسأل الله العافية والسلامة، هؤلاء هم الذين يفتكون بأهل السنة وأهل الاعتقاد الصحيح، وهم والله أضّر عليهم من أهل البدعة الظاهرين الأصليين.

يقول رحمه الله تعالى: "كثر هذا الضرب من الناس في زماننا لا كثرهم الله وسلمنا الله وإياكم من شر المنافقين وكيد الباغين ولا جعلنا وإياكم من اللاعين بالدين ولا من الذين استهوتهم الشياطين فارتدوا ناكسين وصدّوا حائرين"، هذا في إبانته الكبرى رحمه الله تعالى، وهذا كله معشر الإخوة والأبناء في من يجالس أهل البدع والأهواء مجرّد مجالسة فقط، فكيف بمن يتخذهم أصحاباً وأخذاناً؟! فكيف بمن بمن يدافع عنهم ويجادل عنهم؟! لا شك أن هذا منهم بلا ريب، لأنه قد صرح بصريح نصّه بلسانه بالذّب عن هؤلاء والله جل وعلا يقول: "وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ"، فهؤلاء لا يجادل عنهم إلا من كان منهم، وقد سئل شيخنا شيخ الإسلام في هذا الزمن الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله تعالى سؤالاً عمّن يدافع عن أهل البدع هل يعدّ منهم؟! فقال: "هو منهم، هذا داعٍ لهم بلا شك، هذا منهم"، فالذي يُبرّر لهم ويدافع عنهم لا شك أنه منهم وإن كان يدعي السنة أو يظهر السنة لأنّه مُتَّهم حينئذٍ عندنا بالنفاق؛ لا نُصدّقه ولا نأمنه؛ لأنّه يضُرُّ أهل السنة والجماعة، وهو أضّر على أهل السنة والأثر من صاحب البدعة الواضح المشتهر، نسأل الله العافية والسلامة)).

وقال حفظه الله في لقاء كان بينه وبين الشيخ ربيع حفظه الله: ((ما يتعلّق بجرح الشهود، الآن في الدينار والدرهم يأتي الشاهد عند القاضي ليشهد على فلان أنّه ظلم

فلانًا أو أخذ ماله فيطعن في هؤلاء الشهود بأنهم إيش؟، غير عدول، لأجل إيش؟، لأجل الدينار والدرهم، في أمور الدنيا دينار ودرهم يجرح الشهود لحفظ حقوق الناس. أفلا يستحق أهل الأهواء والبدع الذين قد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم بأنهم باقون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إلى أن تأتي الساعة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ"، وبدأ بالمخذل!، فالمخذل قد يكون معك لكنه يخذلك هذا أشد، "أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ"، فالعراك بين أهل السنة والجماعة ورثة النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء باقي بينهم العراك وبين أعداء السنن الذين افترقوا وفارقوا السنة والكتاب، فأنت بحاجة إلى أن ترد عليهم وتكشف عوارهم وتبين انحرافهم، فأهم أولى بالله جرح الناس لحفظ دين الله؟ أو جرحهم لحفظ الدينار والدرهم؟؟).

وقال حفظه الله في [شرحه الإبانة الصغرى لابن بطه/ الدرس الثاني]: ((سأل أحدهم الإمام أحمد - وأنا جئت بمسائله معي؛ رواية ابنه صالح رحمهما الله تعالى، تحت حكم إحداث قول جديد في مسألة إذا اختلف فيها الصحابة في المجلد الثاني الصفحة ١٦٦؛ فيقول صالح رحمه الله: "كتب رجل إلى أبي يسأله عن مناظرة أهل الكلام" هذا واحد، والثاني: "الجلوس معهم"؛ هذا لأصحاب الخصومات مناظرة وجلوس، "فأملى عليّ جوابه" قال لابنه صالح: "اكتب له"؛ أحمد يُملي وصالح يكتب؛ أنعم بهما وأكرم؛ والنَّجاة إن شاء الله لمن سلك طريق هذين ومن كان على شاكلتهما من السلف وُرَّاث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، فكتب إليه: "أحسن الله عاقبتك"، شوف، دعا له بحسن العاقبة؛ أن يموت على عاقبة حسنة، على خاتمة جميلة، "أحسن الله عاقبتك ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي كُنَّا نسمع وأدركنا عليه من

أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزَّيغ " هذا يقوله مَنْ؟! أحمد، وفي عصر أحمد ألفُ إمامٍ وإمامٍ يتبعونه وينصرونه ويؤيدونه، وفي يومنا ألفُ كذَّابٍ، فضلاً عن ألفٍ مُحذِلٍ يزعمُ أنه على السُّنَّةِ يُحذِلُ أهل السُّنَّةِ؛ فما عسى أن نكون نحن في هذا الزمان!، نحنُ والله أولى بهذا.

إذا كان في عصر أحمد لو أردت ألف إمام ينصر أحمد وجدته، واليوم في زمننا هذا ألف مُحذِلٍ يُحذِلُ عن طريقة أحمد، بل وللأسف يُطعن فيمن سار على طريقة أحمد وتُشوَّه صورته بأنَّه يتقمَّص شخصية أحمد، شوف أحمد الآن يُوصي هذا السائل، فالذي يأخذ بوصية أحمد مُتقمَّص لشخصيته؟! ولا مُتَّبِع لفتواه؟!، أنا أسألكم؟ أجيوا، مُتَّبِع لفتوى أحمد ولا مُتقمَّص لشخصيته؟!، فقولوا للدكتور إبراهيم الرحيلي ومن على شاكلته)).

قلتُ:

والتخذيل ليس وليد هذا العصر، وإن كان أهله في هذا الزمان أكثر بكثير، لكنَّ تخذيل العلماء ومعارضة ردودهم من قبل بعض مَنْ يتنسب إلى العلم ظهر قبل زماننا هذا، وقد شكى من هذه الظاهرة علماء السنة في عصرهم، ومن ذلك ما قاله الحافظ الذهبي رحمه الله في [سير أعلام النبلاء ١٤/١٦٦]: ((فقد والله عمَّ الفساد وظهرت البدع وخفيت السنن وقلَّ القَوَالُ بالحق، بل لو نطقَ العالم بصدق وإخلاص لعارضه عدَّةٌ من علماء الوقت ولمقتوه وجهَّله، فلا حول ولا قوة إلا بالله))، وقال الشيخ عبدالرحمن المعلمي رحمه الله في [صدع الدجنة في فصل البدعة عن السنة ص ٦٣]: ((قد تدبرْتُ أنواع الفساد فوجدتُ عامتها نشأت عن إماتة السنن أو إقامة البدع، ووجدتُ أكثر المسلمين يبدو منهم الحرص على إتباع السنن واجتناب البدع ولكن إلتبس عليهم الأمر؛ فزعموا في كثير من السنن أنه بدعة، وفي كثير من البدع أنه سنة، وكلما قام عالم فقال: هذا سنة، أو هذا بدعة، عارضه عشرات أو مئات من الرؤساء في الدين الذين

يزعم العامة أنهم علماء، فردوا يده في فيه، وبالغوا في تضليله والطعن فيه، وأفتوا
بوجوب قتله أو حبسه أو هجرانه، وشمروا للإضرار به وبأهله وإخوانه، وساعدتهم
ثلاثة من العلماء: عالم غال، وعالم مفتون بالدنيا، وعالم قاصر في معرفة السنة وإن كان
متبحراً في غيرها)).

المبحث الثاني

أساليب أهل التنذيل ونقض العلماء لها

وأهل التنذيل لهم عدة أساليب في تنذيل أهل السنة عن جهاد أهل الزيغ والأهواء؛ من ذلك:

١- دعواهم أنَّ الانشغال بالردود وكثرتها في كشف المبطلين ليست من طريقة العلماء السلفيين.

٢- دعواهم أنَّ التحذير من أعيان المبتدعة وبيان انحرافاتهم في مجالس العامة مخالف للحكمة والشرع والعقل، وأنَّ طريقة العلماء كانت مبنية على التحذير من الأخطاء دون التعرض للأشخاص.

٣- وصف ردود أهل السنة بالشدة والغلو أو التعجل وعدم الثبوت أو المبالغة وعدم الإنصاف.

٤- وصف أهل السنة الذين يردون على المبتدعة ويردون على الأخطاء التي تصدر من بعض أهل السنة بالتعالم وحب التصدر والشهرة والتكبر والغرور والعجلة وعدم الحكمة وعدم مراعاة المصالح والمفاسد.

٥- اتهامهم مَنْ يُنكر الباطل ولا يسكت عنه بتفريق السلفيين وإثارة الفتن والاختلافات بينهم.

٦- إيقاف العمل ونشر ردود أهل السنة بدعوى أنَّ الرادَّ ليس من كبار السنَّ أو ليس من العلماء الكبار والمشايخ الفضلاء، أو بدعوى أنه ليس عنده تركيات من قبل العلماء، أو لا يعرفه أحدٌ عندنا، أو إنه لم يعرض ردّه على أهل العلم، أو لا يُعرف إلا في مواقع الإنترنت.

- ٧- عدم قبولهم ردود أهل السنة في بيان الأخطاء والتحذير من المخالفين بدعوى لزوم الاستمرار على نصيحة المخالف والترفق به والصبر عليه مدة طويلة.
- ٨- دعوى هؤلاء أنَّ هجر المخالفين لا يشرع إلا إذا كانت فيه مصلحة مرجوة لهم، وأنَّ الأئمة الثلاثة كانوا لا يرون الهجر في هذا الزمان.
- ٩- تهوينهم المخالفات المنهجية الظاهرة بدعوى وجوب حسن الظن ولزوم حمل كلام أهل السنة على أحسن المحامل أو أنها أخطاء مجردة من قبيل الغلط اللفظي أو سبق اللسان أو قصور في التعبير.
- ١٠- إنكارهم الانتقادات المبنية على العلم والعدل والأدب التي يعلّق بها أهل السنة على بعض الأخطاء المعلنة المنشورة من بعض إخوانهم من أهل السنة في كتاباتهم أو أشرطتهم بدعوى أنها من باب الفضيحة لا النصيحة، وأنَّ المقصود منها إسقاطهم والظهور مكانهم، أو أنها من قبيل الإشهار وإشاعة الفاحشة في أهل الإيمان وتتبع عوراتهم، واشتراطهم النصيحة السرية في مثل هذه الحالة قبل الرد والتحذير من الأخطاء.
- ١١- دعواهم أنَّ الردَّ على فلان - وهو مجهول عندنا أو لا يُعرف في بلادنا - إشهارٌ له ورفعٌ لذكره وشأنه.
- ١٢- اعتراضهم على الرادِّ بقولهم: لماذا يسكت إخوانك من المشايخ وطلاب العلم عن هذه الردود والتحذيرات، ولا يتكلَّم فيها ويحذّر من أهلها إلا أنت؟! أقول:

ولو أردتُ الردَّ على هذه الدعاوى والمعوقات التي يتصيّد بها أهل التخذيل ضعفاء أهل السنة وعوامهم لاحتيج الأمر إلى كتاب مطوّل، لكنَّ أهل العلم من العلماء والمشايخ وطلابهم قد ردوا مثل هذه الشبهات والتلبيسات في عدة مجالس وأجوبة

وكتابات ومقالات، وقد جمعتُ كلامهم في عدة مقالات في الجواب عن بعض هذه الدعاوى، فلا حاجة للإعادة والإطالة، ولهذا سأكتفي هنا بهذه النقول لهؤلاء العلماء المعاصرين، ففيها إن شاء الله الكفاية والغنية لمن أراد أن يبصر تهافت مثل هذه الدعاوى التخذيلية، والله الموفق:

♦ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

سُئِلَ الشيخ ابن باز رحمه الله: ما تقولون في قول القائل: إِنَّ الردود على أهل البدع والزيغ لم تكن ديدن السلف، وإن كتب الردود لا ينبغي أن تنشر إلا بين طلبة العلم، ولا تنشر بين غيرهم؟

فكان جوابه: ((الردود على أهل البدع من الجهاد في سبيل الله، ومن حماية الشريعة من أن يلصق بها ما ليس منها، فتأليف الكتب وطبعها ونشرها هنا حق ودعوة للحق وجهاد في سبيل الله، فمن زعم أن طبع الكتب ونشرها في الرد على المبتدعين أمر مبتدع فإنه على خطأ، لأن الله جلا وعلا قال: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ"، والجهاد يكون باليد، ويكون باللسان، ويكون بالمال، ومن الجهاد باللسان الذب عن هذه الشريعة وحمايتها من كل ما لفق بها من شبه وأباطيل، ومن ذلك التحذير من البدع والدعوة إلى الحق، ولهذا صنف الإمام أحمد وغيره كتباً حذروا فيها من المبتدعين، فالإمام أحمد ألف رسالة "الرد على الزنادقة"، وبين شبههم، وأجاب عن كل شبهة، والبخاري رحمه الله ألف كتابه "خلق أفعال العباد"، وغيرهم من أئمة الإسلام ألقوا في الرد على المبتدعة ودمغ باطلهم وإقامة الحجج عليهم، وكذلك ألف شيخ الإسلام في الرد على الرافضة كتابه المعروف "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة

والقدرية" وبين ما هم عليه من باطل وضلال)). ["الفتاوى المهمة في تبصير الأمة"،
جريدة الرياض/ العدد (١٢٦٧٤)، السنة الأربعون، الجمعة ٤ المحرم ١٤٢٤ هـ].

♦ العلامة الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في [مقدمة الطبعة الرابعة من تحذير الساجد من
اتخاذ القبور مساجد]: ((ولما كان لتأليف الرسالة المذكورة يؤمئذ ظروف خاصة
وملابسات معينة اقتضت الحكمة أن يكون أسلوبها على خلاف البحث الهادئ
والاستدلال الرصين؛ ذلك أنها كانت رداً على أناس لم تعجبهم دعوتنا إلى الكتاب
والسنة على منهج السلف الصالح وخطة الأئمة الأربعة وغيرهم ممن اتبعوهم بإحسان
فبادؤونا بالتأليف والرد، وليته كان رداً علمياً هادئاً إذن لقابلتهم بأحسن منه، ولكنه لم
يكن كذلك مع الأسف، بل كان مجرداً عن أي بحث علمي مملئاً بالسباب والشتائم
وابتكار التهم التي لم تسمع من قبل، لذلك لم نريؤمئذ أن من الحكمة السكوت عنهم
وتركهم ينشرون رسائلهم بين الناس دون أن يكون لدى هؤلاء مؤلف يكشف القناع
عما فيها من الجهل والتهم: "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ"، لذلك
كان لا بد من الرد عليهم بأسمائهم .

وعلى الرغم من أنني لم أقابل اعتداءهم وافتراءهم بالمثل؛ فقد كانت الرسالة على
طابعها العلمي رداً مباشراً عليهم.

وقد يكون فيها شيء من القسوة أو "الشدة" في الأسلوب، في رأي بعض الناس
الذين يتظاهرون بامتناعهم من الرد على المخالفين المفترين، ويودون لو أنهم تركوا دون
أن يحاسبوا على جهلهم وتهمتهم للأبرياء، متوهمين أن السكوت عنهم هو من التسامح
الذي قد يدخل في مثل قوله تعالى: "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً"، وينسون أو

يتناسون أن ذلك مما يعينهم على الاستمرار على ضلالهم وإضلالهم للآخرين؛ والله عز وجل يقول: "وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"، وأيُّ أثم وعدوان أشد من اتهام المسلم بما ليس فيه؛ بل بخلاف ما هو عليه؟!، ولو أن بعض هؤلاء المتظاهرين بما ذكرنا أصابه من الاعتداء دون ما أصابنا لسارع إلى الرد ولسان حاله ينشد: ألا لا يجلهن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين)).

وقال رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه ["النصيحة" بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة الرجيحة وتضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة ص ٥-٧ كتبها بتاريخ ١٨ محرم ١٤٢٠هـ]: ((وأصل هذه البحوث ردودٌ على غمر من أغمار الشباب [علّق في الهامش بقوله: وهو المدعو حسان عبد المنان!؛ تصدّى لما لا يُحسن، وفَسَل من جهلة المتعلمين؛ تناول برأسه بين الكبراء وعليهم، فحقّق كتباً!، وخرّج أحاديث!، وسوّد تعليقات!، وتكلّم بجرأة بالغة فيما لا قبَل له به من دقائق علم المصطلح وأصول الجرح والتعديل. فجاء منه فسادٌ كبير عريض، وصدر عنه قول كثير مريض، لا يعلم حقيقة منتهاه إلا ربه ومولاه جلّ في علاه. ولقد كنتُ رددتُ عليه قَبْلُ في "مواضع متعددة" من كتبي وبخاصة في سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمناسبات تُعرّض؛ كشفتُ فيها جهله وأبنتُ بها عن حقيقته، حيث ظهر لي بكل وضوح أنه للسنة "هدّام"، ومتعدّد على الحقّ هجّام. فهو يتعدّى على الأحاديث الصحيحة بالظنّ والجهل والفساد والتخريب بما يوافق هواه ويلتقي ما يراه بدعوى التحقيق والتخريج. ولقد رأيتُ له منذ مدة تحقيقاً لكتاب "إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان" للإمام ابن قيم الجوزية تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، ظهر فيه بجلاء بيّن جهله الواضح وتعاله الفاضح.

فرايتُ أداءً لواجب النصيحة وحِرصاً على مكانة العلم ومحافظة على السنة النبوية: أن أُفردَ به هذا الكتاب، رداً على جهالاته وكشفاً لسوء حالاته، "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ. ۝" وإني أعلم أن بعضاً من إخواننا دعاة السنة أو الحريصين عليها قد يقولون في أنفسهم: أليس في هذا الردّ إشهارٌ لهذا الجاهل وتعريف بهذا الهدّام؟! فأقول:

فكان ماذا؟!!

أليس واجباً كشفُ جهل الجاهل للتحذير منه؟! ليس هذا نفسه طريق علماء الإسلام منذ قديم الزمان لنقض كل منحرف هجّام ونقد كل متطاول هدام؟. ثم أليس السكوتُ عن مثله سبيلاً يُغررُ به العامة والهماء والهمج والرّعاع؟! فليكن إذاً ما كان. فالنصيحةُ أسُّ الدين، وكشفُ المبطل صيانة للحق المبين؛ "وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ"، ولو بعد حين. وما حال سلف هذا "الهدّام" ذاك "السّقاف" وما آل إليه - والحمد لله - عن عارفي الحق ودعاته ببعيد)).

♦ العلامة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في شرحه [كتاب شرح السنة للإمام البربهاري/ الشريط الثالث، ص ٦٧] معلّقاً على كلام الإمام البربهاري رحمه الله: "حقيقٌ على مَنْ عرفه أن يُحذّر الناس منه، ويبين للناس قصته لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك":

((أي: هذا الذي خرج عن الحق متعمداً لا يجوز السكوت عنه، بل يجب أن يُكشف أمره ويُفصح خزيه حتى يحذر الناس، ولا يُقال: الناس أحرار!؛ حرية الرأي!، وحرية الكلمة!، كما يدندن به الآن، احترام الرأي الآخر!، المسألة ليست مسألة آراء، المسألة مسألة إتباع.

نحن قد رسم الله لنا طريقاً واضحاً وقال لنا سيروا عليه: "وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه"، فأَي واحد يأتينا يريد منا أن نخرج عن هذا الصراط فإننا أولاً نرفض، وثانياً ما يكفي أننا نرفض، بل لا بد أن نبين ونحذر منه، نحذر الناس منه، ولا يسعنا السكوت عليه، لأننا إذا سكتنا عليه اغترَّ به الناس، لا سيما إذا كان صاحب فصاحة ولسان وقلم وثقافة، فإنَّ الناس يغترون به ويقولون هذا مؤهل، هذا مفكر من المفكرين، كما هو الحاصل الآن، فالمسألة خطيرة جداً.

وهذا فيه وجوب الرد على المخالف، عكس ما يقوله أولئك، يقولون: اتركوا الردود!، خلوا الناس كل له رأيه واحترامه، وحرية الرأي!، وحرية الكلمة!، بهذا تهلك الأمة، بهذا تهلك الأمة، السلف ما سكتوا عن أمثال هؤلاء، فضحواهم، وردوا عليهم، لعلمهم بخطرهم على الأمة.

فنحن لا يسعنا أن نسكت عن شرهم، بل لابد من بيان ما أنزل الله، وإلا نكون كاتمين من الذين قال الله فيهم: "إنَّ الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"، فلا يقتصر الأمر على المبتدع، بل يتناول الأمر مَنْ سكت عنه، مَنْ سكت عنه يتناوله الذم والعقاب، لأنَّ الواجب البيان والتوضيح للناس، وهذه وظيفة الردود العلمية.

الردود العلمية المتوفرة الآن في مكتبات المسلمين كلها تذب عن الصراط المستقيم وتحذر من هؤلاء، فلا يروج علينا هذه الفكرة؛ فكرة حرية الرأي وحرية الكلمة واحترام

الآخر إلى آخره، نحن ما قصدنا الآخر، قصدنا الحق، ما قصدنا نجرح الناس ولا نتكلم في الناس، القصد هو بيان الحق، وهذه أمانة حملها الله العلماء، فلا يجوز السكوت عن أمثال هؤلاء.

لكن مع الأسف لو يأتي واحد يرد على أمثال هؤلاء قالوا: أنت متسرع!، أنت فيك وفيك!، هذا ما يستحق الرد!، لو سكت عنه ما اشتهر أمره!، لو سكت عنه ما اشتهر أمره!، إلى غير ذلك من الوسائس!!، فهذا لا يُحذِل أهل العلم أن يبينوا للناس شر هؤلاء دعاة الضلال، لا يُحذِلهم!.

لكن نقول لا بد من أهل العلم، ما هو بكل واحد يرد، أو كل واحد، لا لازم ما يتولّى الرد إلا أهل العلم والبصيرة؛ الذين يعرفون الخطأ من الصواب، يعرفون الحق من الباطل، ويعرفون كيف يردون، وما هي الحجج والإجابة عن الشبهات، ما هو بكل واحد أنه يرد، ربما يرد جاهل أو نصف متعلّم فيزيد الأمر شراً، فيجب ألا يتولّى هذا الأمر إلا العلماء؛ بل الراسخون في العلم)).

♦ العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:

مما أجاب به الشيخ ربيع حفظه الله لما سُئل عن سبب الإكثار من الرد على سيد قطب وسكوت غيره عنه: ((قد يعذر مَنْ لا يَعْرِفُ ذلك ولا يُدْرِكُه لسبب من الأسباب التي يعذره الله بها، أما أنا وقد عرفتُ ذلك فقد آليتُ على نفسي لأقومَنَّ بذلك الواجب ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً، فراراً من جريمة الغش الكبرى في الدين، الغش لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وفراراً من جريمة الكتمان وعواقبه الوخيمة التي توعده الله بها الكاتمين في قوله العظيم: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا

وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"، وقوله: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهَدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ".

إِنَّ مَنْ يَشْحَن تفسير كتاب الله بالبدع والأهواء والتحريف، وإنَّ مَنْ يُوَلِّفُ كِتَابًا يَشْحَنهَا كَذَلِكَ بِالْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ يَعْتَبَرُ مَتَجَرِّئًا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَأَرَاؤُهُ وَأَفْكَارُهُ مَشْوَهَةٌ لِلْحَقِّ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ الْكِتَابَ بِهِ صَارِفَةً لِلنَّاسِ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الَّتِي هِيَ بَيَانُ هَذَا الْكِتَابِ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي كِتَابِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ، وَلَا سِيَّمَا كِتَابُ سَيِّدِ قُطْبٍ، وَإِنِّي لِأَذْكُرُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُلَّ هَذَا وَيُؤَيِّدُونَ هَذِهِ الدَّعْوَةَ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ".

إِنِّي أَنْطَلِقُ فِي عَمَلِي هَذَا مِنْ مَنْطِقِ النُّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ، مُتَّبِعًا لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْبَدْعِ، وَمُتَأَسِّيًّا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي جِهَادِهِمْ وَنُصْحِهِمْ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ، وَالرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبَدْعِ جِهَادًا.

أَقُولُ ذَلِكَ وَإِنْ سَاءَتْ ظُنُونُ الْمُبْطِلِينَ وَالْمُخْذِلِينَ، وَإِنْ كَثُرَتْ إِشَاعَاتُ الْمَرْجُفِينَ، فَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، صِرَاعٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمَنَافِحِينَ عَنْهُ، وَبَيْنَ دَعَاةِ الْبَاطِلِ وَأَنْصَارِ الْبَاطِلِ "وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا".

وَأَقُولُ لِلْمُخْدُوعِينَ الْمَغْشُوشِينَ: اسْتَخْدِمُوا عُقُولَكُمْ بِجِدٍّ وَعِزْمٍ وَإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ، وَحَاكِمُوا مَا يَقْدَمُهُ النَّاصِحُونَ لَكُمْ شَفِيقَةً عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ

رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح، وكل ذلك والحمد لله متوفر بين أيديكم، فما وجدتموه موافقاً لكل ما ذكرت فاقبلوه، لا لأجل فلان وفلان، بل لأنه الحق، وما وجدتموه من خطأ فاضربوا به عرض الحائط كائناً من كان قائله، وأخرجوا أنفسكم وعقولكم من الزنانات والجدران المظلمة التي وضعكم فيها من لا يرقب فيكم إلا ولا ذمة من سيطرة السياسة والحزبية الذين لا يهمهم إلا تحقيق مطامعهم وأهدافهم السياسية، واتقوا الله في أنفسكم، فإنكم بهذا الاستخذاء والتبعية العمياء لا تضرون إلا أنفسكم، ولا نملك إلا البيان الواضح والنصيحة التي أوجبها الله، ولم يأل الناصحون فيكم جهداً، ولم يدخروا وسعاً.

وأزيدكم وأبلغ في النصيحة فأقول لكم: اقرأوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما دونه سلف الأمة الصالح وأئمتها في ذم التعصب والتحزب والهوى والبدع وأهلها، لعل ذلك يساعدكم على الخروج مما أوقعكم فيه المخادعون)) [من كتاب "العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم"].

وسئل حفظه الله السؤال الآتي: هل لطالب العلم أن يتكلم: هذا مبتدع وهذا ضال، أم يترك هذا للعلماء؟ وهل إذا سكت عن فلان أو غيره وقال: أنا أطلب العلم حتى أتعلم وبعد ذلك أتكلم؛ أجرّح وأعدّل عندما أكون عالماً؟

فكان جوابه: ((الاعتدال والوسط في كل شيء؛ إذا دعت الحاجة للتنذير من رافضي، من صوفي قبوري، من حزبي هالك، من الأشياء هذه، ورأى أن من النصيحة للمسلمين أن يُبين لهم حال هذا الإنسان فيبينه حسب ما يعرفه، فإن بعض الأشياء واضحة؛ الضلال فيها واضح، فيعرفها طالب العلم ويعرفها العالم فإذا استنصح له فلينصحه.

وإذا رأى إنساناً مخدوعاً فليُبين له، وهذا ليس من الغيبة المذمومة، بل من الأمور المشروعة، فإذا خاف عليه من رافضي يُضِلُّه أو صوفي قبوري أو حزبي أو ما شاكل ذلك من أهل الأهواء؛ فإنَّ عليه أن ينصح له بالحكمة ويقول له: هذا عنده كذا وكذا. هناك أمور خفيّة لا يتكلّم فيها إلا أهل العلم بالأدلة، فالعالم نفسه لا يتكلّم إلا بالحق وبالبرهان وبالعدل، ولا يقول على الله بغير علم، وطالب العلم كذلك، أمور لا يعرفها لا يتكلّم فيها، أما أمور يعرفها وهي واضحة جليّة وفيها مصلحة للمسلمين فيتكلم فيها بالحجة والبرهان حسب طاقته ومعرفته.

وأما تكميم الأفواه!، لا تقول فلان ضال ولا شيء، وإنما سكوت فقط!؛ فهذا ما يريده أهل الضلال!، يريدون ألا تتكلّم في أهل البدع أبداً!، أسكت فقط، والناس كلهم مسلمون، والروافض إخواننا، والقبوريون إخواننا، وما شاكل ذلك، هذه الأشياء غلط، يتكلم طالب العلم والعالم بالحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة؛ وليس بالسّفه والطّيش، بعضهم يتسّفه ويَطِيشُ، ويُضُرُّ أكثر مما ينفع، فهذا السّفه والطّيش يُترك)) [فتاوى في العقيدة والمنهج / الحلقة الأولى / فتوى رقم (٣٨)].

♦ العلامة الشيخ محمد بن هادي المدخلي حفظه الله:

قال الشيخ محمد بن هادي حفظه الله في محاضرة بعنوان [هجر المبتدع والشدة في الدعوة بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٤٣١هـ]: ((معشر الإخوان، نرى كثيراً من الناس أول ما يبدأ يتلبس في ظاهر أمره بالإخلاص، ثم تراه بعد ذلك من خلال أفعاله وأقواله، فيظهر لك منه نقض دعواه، فتراه قد باع دينه، فما كان بالأمس عليه من الخير والهدى تنازل عنه لأجل الدنيا، فبالأمس ما كنت تراه إلا مع أهل الحق والهدى والسنة والحديث، واليوم قد انقلبت الأمور عنده وقلب لهذا كله ظهر المجن، فتراه على خلاف حاله الأولى، فبعد

أن كان مع شيوخ السنة والأثر، إذا بك تراه يجري لهثا خلف الدنيا، فيمشي مع فلان، وفلان ممن نعرفهم بالتحزب والبدعة، وليته عند هذا الأمر يقف، بل يتجاوز بعد ذلك ليبرر لنفسه هذا الباطل، فيقع بلسانه الحاد في علماء السنة والحديث وشيوخه بالأمس، فتراه طعاناً وقاعاً فيهم، هذا متى؟ إذا وصل إلى ما يريد من أولئك، فقد حصّل الدنيا، فبالأمس صعلوك لا مال له، واليوم سيارة فارهة وشقة، وقل غير ذلك، حصل له ذلك، حصلت له الدنيا، لكن في مقابل ماذا؟ مقابل أن باع دينه، باع دينه فترك السنة وأهلها، وركب البدعة وصحب أهلها، ثم بدأ يعتذر لنفسه بالأعذار الإبليسية.

فأول ما يبدأ: هؤلاء متشددون، هؤلاء المشايخ متشددون، هؤلاء عندهم غلو، هؤلاء ما عندهم إلا الكلام في الناس، هؤلاء خالفهم غيرهم، وهكذا، حتى ينسلخ من دينه، فيعود أشد ضرراً على السنة وأهلها من المبتدع الأصلي!، وهذا الكلام لا نقوله رجماً بالغيب ولا جزافاً، وإنما من واقع التجربة، وواقع الأحداث على مدار خمس وعشرين سنة، ربع قرن، رأينا هذا كله، يتعلل بعضهم إن لم أفعل هذا ربما لحقني الضرر في الجامعة أو في المؤسسة التي أنا فيها، نعم، وإذا بالحقيقة على خلاف ذلك، الحق أنه لا ضرر عليه، فيتأول، والتأويل باب واسع جداً، ما لحقه ضرر لكن يتخيل أنه سيلحقه ضرر فيهلك.

فرحم الله سلفنا الصالح حيث فطنوا لهذا وشددوا فيه غاية التشديد، لأنّ مثل هذا يكون ضرراً على الآخرين إن بقي على السنة، يكون حجة لكل من أراد الانحراف، هذا إن بقي هو على السنة، أما أكثر من ذكرت فالغالب أنه ينتهي بهم الأمر إلى أهل الأهواء.

روى المروزي رحمه الله عن الإمام أحمد رحمه الله أنه دخل عليه في مرضه يحيى بن معين، فسلم عليه، فلم يرد عليه السلام، وكان يحيى مع إمامته قد أجاب في محنة خلق القرآن متأولاً، ومن كيحيى؟ من كيحيى بن معين؟ ولكن الشاهد ما هو هذا، الشاهد

الذي سيأتي: فسَلَّم على أحمد فلم يرد عليه السلام، وكان أحمد قد أخذ على نفسه عهداً ألا يكَلِّم أحداً ممن أجاب في الفتنة، في محنة القول بخلق القرآن، وكان يحيى من هؤلاء رحمه الله، فلم يسَلِّم عليه فأخذ يحيى يعتذر، يحيى بن معين أخذ يعتذر إلى أحمد وأخذ يقول: يا أبا عبدالله، حديث عمار، أليس يقول الله: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان"؟ فلم يرد عليه أحمد، وأشاح بوجهه إلى الجانب الآخر إلى الجدار، ولم ينظر في وجه يحيى، فخرج يحيى وهو يقول: أف، نعتذر إليه ثم لا يقبل منا!، والله يقول: "إلا من أكره" فقعد على الباب، قعد أين؟ على باب أحمد، على باب الدار ينتظر، حتى خرج أبو بكر المروزي رحمه الله فقال له: ماذا قال أحمد؟ هل قال بعدي شيئاً؟ قال: نعم، قال ما قال؟ ماذا قال؟ قال: سمعته يقول - يعني أحمد - يقول: حديث عمار!، حديث عمار!، "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" يعني يستنكر على يحيى!، إنَّ عماراً رضي الله عنه قد جاء في حديثه: إنني مررت عليهم، يعني المشركين، فسمعتهم يسبونك ويشتمونك فنهيتهم وزجرتهم عن ذلك فضربوني، وأنتم قيل لكل سنضربكم فأجبتهم، ما ضُربتم!، سنضربكم فأجبتهم!، فقال يحيى بن معين: بعدما سمع هذا، لله درك، مُر يا أبا عبدالله، والله ما تحت أديم السماء أحد أفقه في دين الله منك، يعني شوف الفرق عمار ضربوه بعد أن أنكر عليه، ولذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إن عادوا فعد"، أما أنتم قالوا: سيضربونكم فأجبتهم مباشرة!.

فهذا الذي يقل: سيضرونني فيذهب معهم مباشرة فيبيع دينه بديناه، فانظروا إلى العدل والإنصاف عند يحيى بن معين يقول مُر، يعني أأمر بما شئت، بعد أن سمع هذا الكلام عن أحمد، مُر بما تشاء، هذا هو الفقه، وهؤلاء باعوا دينهم بديناهم لأموال تخيلوها ففسد دينهم وديناهم فلا بقي لهم الدين ولا قامت لهم الدنيا، فذهبوا مع أهل البدع والتحزب وتلطَّخوا بأوبار الحزبية والبدعة، وتركوا إخوانهم وشيوخهم، ثم صاروا مع

هؤلاء، وقد كان السلف كما جاء ذلك عن الشعبي رحمه الله: "يقولون: لا تسأل عن المرء بعد ثلاث؛ ممشاه ومدخله، ومخرجه ومدخله، وإلى من يجلس"، إذا عرفت ممشاه مع من؟، ويدخل ويخرج مع من؟، ويجالس من؟، ماذا تريد أن تسأل بعد ذلك؟ خلاص.
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه [أنظر إلى مَنْ يجالس] فكل قرين بالمقارن

يقتدي

فهؤلاء يبيعون الآجلة بالعاجلة.

فأمر الإخلاص معشر الإخوان أمر عظيم، والإخلاص: أن لا يقصد الإنسان بعمله إلا وجه الله تبارك وتعالى والدار الآخرة، فيستقيم على الحق والهدى، ولا يصرفه عنه صارف، هذا هو الثبات الحقيقي.

سمعت هذا الكلام؟

بالله عليكم، لو أن أحمد بهذا العصر وفعل مثل هذا بيحيى بن معين ماذا يقول عنه صعافقة العصر اليوم؟ يقولون عنه: متشدد، غالٍ، عنده غلو، مع من؟ مع يحيى بن معين، مع إمام، لكنه لم يقبل منه، إذا كان هذا من أحمد مع يحيى بن معين واستمر هجره له حتى بعد اعتذاره، لأنه يرى رحمه الله أن لموقف يحيى أثراً في الناس فيحتجون به، فلو هجر اليوم من يفعل مثل هذا، ما ذا يقال فيمن هجره؟ لو هجر اليوم من يفعل مثل هذا أو قريباً منه ما يقال فيه؟ فيمن هجره؟ يقال: متشدد، يقال: هذا غال، وهؤلاء غلاة، وهؤلاء ما عندهم إلا الجرح، وهؤلاء جراحون، ونحو ذلك.

مع أن الذين يفسدون اليوم أكثرهم مغموس وإن انتسب إلى السنة، مطعون فيه وإن انتسب إلى السنة، بل لا نرى شدة ألسنتهم إلا على أهل السنة، وبالمقابل يعتذرون لأهل الأهواء ويدافعون عنهم، ويبررون لهم باطلهم، ومرة يقولون: إنهم سلفيون، وأخرى يقولون: لا نستطيع إخراجهم من السلفية، ونحو ذلك، فاتسعت صدورهم

هؤلاء، ولم يسلم السلفيون من ألسنتهم هم!، فهذا الصنف هم الذين الخطر فيهم أشد على السلفيين من أهل الأهواء والبدع!!، فاحذروهم يا أبناءي ويا إخواني، احذروهم كل الحذر، فإذا رأيتم من يصدر عنه مثل هذه المقالة فلا يتسع صدره لأهل السنة ولا يعتذر لهم، ويتسع صدره للمطعون فيهم، ويعتذر لهم فهو والله كذاب وإن بلغت عمامته عنان السماء)).

إلى أن قال حفظه الله: ((الآن نسمع الهجمة الشرسة القوية على سور الإسلام والسنة الحصين الذي حمي به الإسلام وأهل الإسلام، حميت به السنة وأهلها، هجوم على هذا الصور لتكسيه هذا الصور العظيم: هو هجران أهل البدع، فنحن في هذه الآونة نسمع الكلام الشديد عن هذه المسألة؛ وللأسف ممن يتسبب إلى السنة، بعضهم يقول: اليوم لا يمكن أن يطبق الهجر!، إذا متى؟ يوم ينفخ في الصور؟! متى يطبق الهجر؟ إذا نفخ في الصور!، هذا كلام باطل، وآخر وهو يتلبس بالسنة ويتظاهر بها يُنكر أن يكون الهجر فوق ثلاث لأهل الأهواء في السنة، أو في دين الإسلام ينكر ذلك، يقول: ما يهجر المبتدع فوق ثلاث!؛ لجهله أو لهواه، وأما اليوم أنا أقول: لهواه، كنت قبل ذلك: لجهله، لكنه بعد أن عرف وأوقف على إجماع أهل السنة في هذه المسألة، أجمعوا على هجر أهل البدع والأهواء حتى يتوبوا، وبقي على هذا القول هذا هوى.

والمؤسف ليس هو هذا، المؤسف من يوجد يدافع عنه، وليته إذ دافع هؤلاء المدافعون عن هذا الدعي سلم منهم أهل السنة!، بل ذهبوا يطعنون في أهل السنة، فيا محنة الإسلام والسنة، ويا غربة أهل السنة بين هؤلاء، والله الموعد.

هذا البلاء الذي نزل في الآونة الأخيرة بالسلفيين، ما همنا لو تكلم فيه البدعي، ما ضرنا ذلك، لكن كونه يتكلم فيه من يتسبب إلى السنة فينسفه نفساً هذا الذي أصبح ضرراً على أهل السنة وأبناء السنة)).

وأخيراً:

فإذا تأمل السلفي النبيل - الذي يغار على شرع الله ويغضب إذا انتهكت محارم الله من قبل أهل البدع والزيغ والهوى - هذه النصوص الشرعية والنقول العلمية والنصائح السلفية فإنه سوف لن يسكت عن أهل الباطل مهما كان عددهم وعدتهم وشوكتهم وقوتهم، ولا يبالي بأهل الإرجاف الذين يهولون من الباطل وأهله ويهونون من الحق وأهله، ولا يراعي بأهل التخذيل الذين يسكتون عن المخالفين ويقفون في وجه أهل السنة المجاهدين، ولا تأخذه في نصره الحق وقمع الباطل لومة لائم ولا سطوة ظالم، ولا يضره ما يُقال فيه من أوصاف منفرة وأباطيل مفبركة سواء كانت من المخالفين أو المخدّلين، لأنه لا ينظر إلا إلى ما يرضي ربه ويقربه إليه، فنسأل الله عز وجل أن يوفّقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يرزقنا الخشية والتقوى، وأن يجنبنا الزيغ والهوى، وأن يثبتنا على الحق والهدى، وهو سبحانه وليّ المؤمنين ونصيرهم، نعم النصير ونعم المولى.

كتبه

أبو معاذ رائد آل طاهر

في صباح يوم الثلاثاء ١٩ صفر ١٤٣٤ هـ

الموافق ١ / ١ / ٢٠١٣ بالإنجليزي

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة	١
— الردُّ على المبطلين والدَّبُّ عن الدِّين من أعظم الجهاد في سبيل الله	١
— أصناف الناس في الموقف من الحق والباطل	٧
المبحث الأول: المخدِّلون أشدُّ ضررًا من المخالفين الظاهريين	
— قعود المخدِّلين خير من قيامهم في نصره الدِّين	٩
— العدو الداخل المتستتر أشدُّ على أهل الحق من العدو الخارج الظاهر	١٦
— كلما كانت الطائفة المنحرفة أو الفرد المنحرف أقرب إلى أهل السنة كلما كان أشد	
فتنة وضررًا	٢٩
— أهل التخذيل لا يُسمع لهم صوتٌ إلا في تشييط أهل الحق	٣٥
— الإرجاف سبيل من سبيل أهل التخذيل	٣٨
— العلاقة بين أهل التخذيل والمخالفين الظاهريين	٤٠
المبحث الثاني: أساليب أهل التخذيل ونقض العلماء لها	
— بيان أساليب أهل التخذيل	٤٦